دور المرأة ومكانتها

في الحضارات المختلفة عبر التاريخ

إعداد

أ. علي القاضي

دار الهداية

للطباعة والنشر والتوزيع

الطبعة الأولي

١٤٢١ هـــ ٢٠٠١م

مقدمة

لقد كرم الله سبحانه وتعالى الإنسان وجعله خليفة في الأرض وسخرله ما في الوجود ،وقد جعل الإسلام الرجل والمرأة نوعان من جنس واحد وجعل النساء شقائق الرجال ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف، فالمرأة تَتَعَلم وتعلم وتتعبد وتخرج للصلاة وترث وتورث وتشهد في القضايا وملكيتها مستقلة عن ملكية الرجل وهي لا تتزوج إلا برضاها ولها على الزوج حقوق وللزوج عليها حقوق والمعاشرة بينهما تكون بالمعروف والتسريح يكون بالإحسان وقد جعل الإسلام الجنة تحت أقدام الأمهات .

وقد تعلمت المرأة منذ ظهور الإسلام ولذلك فإننا نجد مئات الصحابيات قد تعلمن ورَوَين الحديث وتفقهن في الدين وقد وصل عدد كبير من النساء إلى أعلى درجات العلم ، وقد قامت المرأة بدور بارز في مجالات كثيرة منها :

- مجال العمل للدعوة الإسلامية مثل أم المؤمنين السيدة خديجة وأسماء بنت أبي بكر .
- مجال العمل السياسي والعسكري ، فالسيدة نسيبه بنت كعب كانت ممن حضرن بيعة العقبة الثانية ، وكانت إلى جانب ذلك امرأة محاربة ؛ ففي غزوة أحد أخذت تباشر القتال وتذب عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بالسيف وترمي بالقوس حتى جرحت ثلاثة عشر جرحا ، وشهدت بيعة الرضوان كما شهدت حرب اليمامة فقاتلت حتى قطعت يدها وجرحت اثني عشر جرحا ، والسيدة رفيدة الأنصارية كانت تداوي الجرحى .
- وفي ميدان الإمداد والتموين والتمريض كانت أم سليم تزفر القرب يوم أحد - والماء أهم شيء في المعركة - وقد أعطاها عمر بن الخطاب أجود المروط وقال : أم سليم أحق بها لأنها كانت تزفر لنا القرب يوم أحد؛ وكذلك كانت السيدة عائشة وأم سليم تحملان القرب على متونهما وتفرغانه في أفواه القوم ثم ترجعان فتملئانهما ثم تجيئان فتفرغانه في أفواه القوم كما جاء في صحيح البخاري .

■ وقد قامت المرأة برعاية العلم وبناء المدارس ، كما اشتهر بعض النساء بالأدب وقول الشعر .

وكان أعظم ميدان عملت فيه المرأة بيتها فهي تدبر شؤون المترل وترعى زوجها وأبناءها وتربيهم تربية صالحة وتجعل من بيتها جنة الحياة ، وكانت نساء الطبقة العاملة مشاركات في أعباء الحياة في الريف والبادية ،وفي الأحياء الشعبية في المدن يقرأن وينسجن ويطبخن وغير ذلك .

وقد دارت الحضارة الإسلامية حول المرأة في الكثير من الأمور الفنية ، فالنظام والأشكال المعمارية للبيوت صممت بحيث تبيح للمرأة المتعة بداخلها في جو مبهج ومريح للنفس ، فالبيوت تفتح من داخلها وتلتف حول بناء رحب تتوسطه نافورة مياه دافقة ، وليس للبيوت نوافذ خارجية تتسلل منها نظرات المارة في الطريق وتلتف حول البيت حدائق غناء يقضي فيها الأهل ساعات الفراغ ، ولكثير من البيوت مشربيات ذات نقوش وزخارف هندسية تطل من خلفها السيدات دون أن يراهن أحد .

وهكذا نرى أن المرأة المسلمة حينما ربيت تربية إسلامية كاملة متكاملة استطاعت أن تسهم في الحضارة الإسلامية إسهاما واضحا وكان لها دور إيجابي كبير ، وحين أهملت أو ربيت تربية غير إسلامية كان لها آثارها السيئة في المجتمع وفي الحضارة الإسلامية .

وهناك أسئلة كثيرة تدور في نفوس الشابات والشبان لأن مصدر المعلومات ليس واحدا وقد رأيت أن أطرح بعض هذه الأسئلة ،وأن تكون الإجابة عليها من بعض الأساتذة والعلماء ؛ حتى يمكن أن تستريح النفوس لأن معلوماتنا صادرة من المصدر الإسلامي المتمثل في القرآن الكريم والسيرة النبوية والحديث الشريف .

وبذلك يكون سلوكنا متجها إلى الطريق المستقيم صراط الله الذي له ما في السماوات والأرض وهكذا نستطيع أن نؤدي وظيفتنا في هذه الحياة وأن نعمر الأرض طبق المنهج ،منهج الخالق سبحانه وتعالى فنسعد أنفسنا ونسعد هذا العالم الحائر الذي يسير إلى الهاوية ونفوز برضوان الله تعالى في الدنيا والآخرة ولمثل هذا فليعمل العاملون .

• • • • • • •

تمهيد

لقد غزانا الاستعمار بجيوشه كما غزانا بأفكاره وقد وضع الخطة ليحيط بنا إحاطة السوار بالمعصم حتى لا نستطيع فكاكا ؛ نعم لقد وضع الاستعمار الخطة الكاملة المتكاملة لذلك حتى أصبحنا كما قال الفيلسوف الجزائري المسلم مالك بن نبي "كمن يسكن في بناية من عدة طوابق ونظر سكان الأدوار العليا فإذا بحريق يشب في أسفلها فلم يدروا ماذا يفعلون فألقوا بأنفسهم من الأدوار العليا وإذا بالنار تحيط بهم في حيره كبيره "،ثم قال : " إن النار هي الحضارة الغربية " .

وكان للمرأة نصيب كبير من مخططاتهم تحت اسم حقوق المرأة وتحت اسم مساواة المرأة بالرجل .

بدأ الغزو الفكري من نواح متعددة : فهم يتهمون الإسلام بأنه لا يعطي للمرأة حقوقها وأنه يحبسها في عقر دارها وأنه لا يسمح لها بالتصرف في أي شيء وهم في ذلك يخلطون بين الإسلام وبين العادات والتقاليد التي ابتليت بها بعض المجتمعات الإسلامية ومرة أخرى يتهمون الإسلام بعدم المحافظة علي الأسرة لأنه أباح الطلاق وتعدد الزوجات وهم في ذلك ينظرون نظرة بشرية سرعان ما ظهر بطلانها وإذا بهم يغيرون ويبدلون بصورة مختلفة ومرة ثالثة يتهمون ويتهمون ... ومرت علينا فترات طويلة كنا فيها في دور المستقبل لا في دور المرسل ، كنا نظن أن كل ما يقوله الغربيون حق ؛ وقام بعض أدبائنا ومفكرينا بحمل دعوة الغرب بشأن المرأة وكأنها مسلمات لا تحتاج إلى مناقشة .

وأخذوا يرددون أقوال الغرب ويؤكدون على صحة هذه المفاهيم وعملوا جاهدين على خروج المرأة من البيت ودخولها إلى ميدان العمل بحجة : المساواة بين المرأة والرجل وإعطاء المرأة حقوقها كالرجل وعدم تعطيل نصف المجتمع عن العمل والإنتاج .

وهذه نظرة مادية بحتة لأن تربية العنصر البشري – وهي وظيفة المرأة الأساسية – أثمن من أي شيء في الحياة ، ورأي الغربيون أن المرأة المسلمة المتعلمة تعليما غربيا أطوع إليهم من غيرها ، لأنهم ربوها على هذه المفاهيم وساعدوها على إنشاء الجمعيات النسائية التي حملت هذه الرسالة التي أرادتها لها الحضارة الغربية ؛ والآن آن الأوان لنعرف وضع المرأة في الحضارات المختلفة ، ونعرف وضع المرأة على

حقيقته في الإسلام ؛ وبذلك ننصف المرأة ونعطي لها حقوقها الطبيعية ونقوم بعملية تقويم حقيقي لدور المرأة الذي يحقق لها شخصيتها ويحفظ لها كرامتها .

وسنقوم بعرض عدد من الأسئلة التي أجاب عليها عدد من علماء المسلمين وبعض المربين الذين شغلوا بالمرأة وتربيتها التربية الصحيحة التي تحفظ لها كيانها وتمكنها من أداء دورها في هذه الحياة بالصورة الفطرية الحقيقية التي خلقها الله تعالى من أجلها ؛ وبذلك ننصف المرأة وننصف الحضارات المختلفة وننصف الإسلام والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

هل هناك فرق بين المرأة والرجل ؟

سؤال يجيب عليه علي القاضي في كتابه { وظيفة المرأة في المجتمع الإنساني} بقوله : " لقد كشف العلم الحديث فروقا متنوعة بين الرجل والمرأة في التكوين البيولوجي والفسيولوجي والنفسي والعقلي مما يدل على أن لكل من الرجل والمرأة وظيفة في الحياة وإن كانت وظيفة كل منهما متممة لوظيفة الآخر .

١- الفروق البيولوجية : الفروق الموجودة بين الرجل والمرأة تبدأ في وقت مبكر ويظهر ذلك في الفرق الموجود بين الحيوان المنوي الذكري وبويضة الأنثى والسؤال الذي طرحه العالم الأمريكي الدكتور شبنلر على نفسه وعلى أعوانه : "هل الكائنات الدقيقة التي تسمى علميا الحيوانات المنوية التي تنطلق نحو البويضة لها نفس الطبيعة ؟ " ؛وبعد أبحاث طويلة وجد العالم وأعوانه أن الكروموزوم الذي ينتج الأنثى يتميز بأنه يتجمع جنبا إلى جنب وبأنه بطيء الحركة وإن كان أكثر تحملا للبيئة - ولذلك فإنه يعيش مدة أطول - كما أنه ينتعش ويزداد حيوية إذا وجد في المواد الحمضية ؛ أما الكروموزوم الذي ينتجه الذكر فإنه يتمتع بسرعة الحركة والحيوية الشديدة ويزداد تحملا وانتعاشا إذا وجد في المناخ القلوي ، ولكنه أقل تحملا لظروف البيئة ويموت بسرعة .

ومن ناحية أخرى يبين لنا الدكتور الكسيس كاريل الحائز على جائزة نوبل في العلوم الفرق بين الرجل والمرأة في كتابه " الإنسان ذلك المجهول " ، فيقول : "إن الأمور التي تفرق بين الرجل والمرأة لا تتحدد في الأشكال الخاصة بأعضائها الجنسية والرحم والحمل ، وهي لا تتحدد أيضا في اختلاف طرق تعليمها بل إن هذه الفوارق ذات طبيعة أساسية نابعة من اختلاف نوع الأنسجة في جسم كل منهما

كما أن المرأة تختلف عن الرجل في المادة الكيماوية التي تفرز من الرحم في داخل جسمها تحمل طابعا أنثويا وهكذا تتكون أعضاؤها المختلفة بل وأكثر من هذا فهذا هو حال نظامها العصبي " ؛ ثم يقول "إن قوانين وظائف الأعضاء محددة ومنضبطة كقوانين الفلك ، حيث لا يمكن إحداث أدنى تغيير فيها إلا بفناء البشرية ، وعلينا أن نسلم بها كما هي دون أن نسعى إلى ما هو غير طبعي " ؛ ثم يهتف قائلا " إن الذين ينادون بمساواة الجنس اللطيف بالرجل يجهلون هذه الفوارق الأساسية ،وعلى النساء أن يقمن بتنمية مواهبهن بناء على طبيعتهن البشرية وأن يبتعدن عن تقليد الرجال " .

وقد أثبت علماء الأحياء أن المرأة تختلف عن الرجل في الصورة وفي السمت وفي الأعضاء الخارجية وفي ذرات الجسم والجواهر الهيولينية (البروتينية) لخلاياه النسيجية فمن لدن حصول التكوين الجنسي في الجنين يرتقي التكوين الجسدي في الصنفين في صورة مختلفة ، فهيكل المرأة ونظام جسمها يركب كله تركيبا تستعد به لولادة الولد وتربيته ، ومن التكوين البدائي في الرحم إلى سن البلوغ ينمو جسم المرأة وينشأ ليكمل ذلك الاستعداد فيها وهذا هو الذي يحدد لها طريقها في المستقبل .

وقد أثبتت الدراسات العالمية التي اتجهت إلى بحث الفروق بين الرجل وبين المرأة في الوزن والعظم أن الرجل أثقل وزنا وأطول قامة وهذا راجع إلى الكثافة النوعية لعظام الرجل حيث يوجد نوعان من العظام : العظام المكتنزة والعظام الإسفنجية .

وعظام الرجل قوية ومتماسكة نتيجة لكثرة أليافها وقوة شدتها كما أنها تمتاز بالبروز عند نهاياتها وكمية النسيج العضوي العضلي عند الرجل أكبر منه عند المرأة إذ تبلغ نسبته ٤١ % من فروق جسمه في حين تبلغ عند المرأة ٣٥ % فقط ، وفي منطقة الحوض نجد أن الله سبحانه وتعالى وهب المرأة حوضا يمتاز باتساعه وضعف أربطته ، في حين نجد أن حوض الرجل تزداد استطالته ويقل اتساعه وتزداد شدة الربط بين العضلات ، وبالنسبة للصدر نجد أن صدر المرأة أضيق منه عند الرجل بكثير وعضلات المرأة تقل في القوة عن عضلات الرجل بنسبة ٢٥ % ، كما أن متوسط حجم المخ للرجال أكبر بقليل من متوسط حجم مخ النساء وفي فترة المراهقة يتصف النمو الجسمي بالزيادة السريعة المفاجئة في الفتيات ويتأخر الذكور عن الإناث بعامين تقريبا بالنسبة لبداية هذه التغييرات .

٢- الفروق الفسيولوجية : ومن الناحية الوظيفية أو الفسيولوجية فإن أعضاء الجسم تتخذ شكلا يتناسب والاختلافات التشريحية فنجد أن كبد الرجل ودمه يحتويان على كمية كبيرة من الحديد ، كما نجد أن دم الرجل المدفوع من القلب إلى الجسم في كل دقيقة يبلغ ٣٢ لترا وعند المرأة ٢٥ لترا فقط ، وفي ذلك يقول الدكتور فبروسيه في دائرة معارفه : " إنه نتيجة لضعف دم المرأة ونمو مجموعها العصبي فإننا نرى مزاجها العصبي أكثر تهيجا من مزاج الرجل وتركيبها أقل مقاومة لأن تأديتها لوظائف الحمل والأمومة والرضاعة تسبب لها أمراضا قليلة أو كثيرة الخطر " ويقول الدكتور رفاييي في دائرة معارفه الكبيرة : " إن المجموع العضلي عند المرأة أقل منه كمالا عند الرجل وأضعف منه بمقدار الثلث ، والقلب عند المرأة أصغر وأخف بمقدار ٢٠ جراما في المتوسط ، فالرجل أكثر ذكاء وإدراكا والمرأة أكثر انفعالا وتهيجا " ؛ كما يقول الدكتور نيكوليه في دائرة معارفه الكبيرة : " إن الحواس الخمس عند المرأة أضعف منها عند الرجل " .

٣- الفروق السيكولوجية : ومن الناحية النفسية والسيكولوجية نجد أن العاطفة عند المرأة قد بلغت حدا ميز تصرفاتها وشعورها عن نظيرتها عند الرجل ، وهذه هبة من عند الله تعالى الذي قدر كل شيء فأحسن تقديره ، إذ أن وظيفة المرأة الأساسية تربية الأطفال وتنشئة الأجيال ، وهذا يتطلب كثيرا من العطف والحنان يعجز الرجل عن توفيرهما لابنه ، ونتيجة لعاطفتها القوية نجدها أكثر حساسية وأكثر تأثرا بالظواهر الطبيعية فلا تستطيع كظم غيظها عند حدوث مكروه ولا تستطيع التحكم في سرورها عند الفرح .

والمرأة بوجه عام يجذب انتباهها حادثة ما أكثر من فكرة ما ، على عكس الرجال الذين يهتمون بعلاقات الأشياء بعضها ببعض أكثر من اهتمامهم بالأشياء ذاتها واتجاه العقلية النسائية نحو الماديات والمحسوسات أكثر من اتجاههم للمعنويات.

٤- الفروق العقلية : وتثبت الدراسات النفسية أن هناك فروقا في النواحي العقلية بين الرجل والمرأة ؛ يقول الأستاذ الدكتور جابر عبد الحميد رئيس قسم علم النفس بجامعة قطر في كتابه " الذكاء ومقاييسه " : " لوحظ على الدوام أن الذكور يمتازون في نواحي القدرة الميكانيكية ، كذلك يتفوقون على الإناث في الاختبارات العددية التي تتطلب الاستدلال ؛ وتتفوق البنات في اختبارات الفقه والخفة في استخدام الأصابع مع الإدراك الكافي للتفاصيل ، كما يتفوقون في القدرة على القيام

بأعمال السكرتارية ، وأظهر الزمن دائما تفوقا واضحا في القدرة اللغوية ، ويبدأ الفرق في الظهور في سن مبكرة ويستمر طوال الحياة ، وتمتاز البنات في معظم اختبارات التذكر" .

ومما قاله ترومان وميازلز في أبحاثهما : " أظهر الذكور اهتماما بالمخاطرة وبالمهن التي تتطلب مجهودا بدنيا خارج المترل وبالأدوات والعلوم والظواهر الطبيعية والمخترعات والتجارة ؛ ومن ناحية أخرى وجد أن النساء يهتممن بالمسائل المترلية وبالمهن التي يدخل فيها التذوق الجمالي ، وقد فضلن مهنا وأعمالا تتطلب مجهودا أقل في داخل المترل ومهنا تتصل برعاية الأطفال والضعاف ومساعدتهم ، وقد أظهر الذكور بطريقة مباشرة أو غير مباشرة تفوقا في الثقة بالذات والإقدام وتعبيرا عن عدم الخوف وخشونة في اللغة والعواطف ، أما النساء فقد أظهرن تميزا في المشاركة الوجدانية والحساسية الجمالية والتألق والانفعال " .

والمرأة لها فترات خاصة تمر بها هي فترات الدورة الشهرية والحمل والولادة والرضاعة ، وهذه تجعل المرأة في حالة جسمية ونفسية خاصة ؛ وفي هذه الأيام يكون الجهاز العصبي والنفسي عند المرأة في غالبه متراخيا غير منظم وتنبعث من داخلها حركة اضطرارية تملك عليها إرادتها وتعطل قوة حكمها واختيارها فتحدث منها الأفعال بدون إرادة ولا يعود لها في أعماقها وتصرفاتها من حرية ولا تكون أهلا للقيام بتبعة أو مهمة ؛ وقد أثبتت الدراسات المختلفة أن هناك اختلافات في هيكل الرجل وفي هيكل المرأة يلخصها الدكتور محمد علي الباز في :

- الاختلاف على مستوى الخلايا .
- الاختلاف على مستوى الأنسجة والأعضاء .
- الاختلاف على مستوى النطفة .
- الاختلاف في الأعضاء التناسلية .
- مخ الرجل يختلف عن مخ المرأة .

وضع المرأة العالمي قبل الإسلام

- **وضع المرأة في الحضارات المختلفة :**

ما وضع المرأة العالمي قبل الإسلام ؟

هذا السؤال أجاب عليه الأستاذ الدكتور رؤوف شلبي - رحمه الله - في محاضرة له بجامعة قطر حيث قال : " إن الحضارة الإغريقية القديمة - على وفرة ثقافتها وعلومها - لم يرتفع فيها مركز المرأة و لم تزد عن كونها خادمة أو ربة بيت ، وكان اليونانيون - أصحاب تاريخ الفلسفة - يسكنون الزوجات في حجرات تقل فيها النوافذ إلى جانب انعدام خروج الزوجة إلى السوق أو إلى المحافل " .

ومع ذلك فقد كان هناك نوع آخر من النساء الغانيات اللاتي عرفن باسم الهبتير وكن يقمن بدور مصاحبة الرجال إلى المحافل ، وعلى الرغم من نظرية أفلاطون الفلسفية المتعلقة بواجبات المرأة العسكرية والسياسية فإن اليونانيات ظللن معتزلات معزولات عن الحياة العامة بحكم العرف والقانون الروماني .والتصور اليوناني لمكانة المرأة يظهر في تلك العبارة : " إن قيد المرأة لا ينبغي أن يعزل " ؛ ولذلك فقد علت الأصوات بعد سقوط الدولة تطالب بالتحرر من الجسد تجاه المرأة التي كانت سببا في الفساد وأمطرت المرأة بوابل من اللعنات والتهم الشنيعة .

أما المرأة الهندية فقد كان يقضي عليها بالإحراق حية مع تابوت زوجها المتوفى فضلا عن حياة التمزق الطبقي التي كانت تعانيه ، فالمرأة الهندية من طبقة "البراهما " غير المرأة الهندية من طبقة " كريهاستا " غير المرأة الهندية من طبقة " ويشا " غير المرأة الهندية من طبقة " شودرا " .

والمرأة الصينية ذات الحذاء الحديدي تلك العادة التي كانت تفرضها عليها آداب الأسرة من أجل إرضاء الزوج ؛ فقد كتب على المرأة الصينية أن تلبس حذاءاً حديدياً منذ الصغر حتى لا تكبر قدماها احتراما لآداب الزينة التي تنظمها الأسرة لتروق في عين زوجها وهو قيد اجتماعي يعبر عن أن المرأة زينة تتحلى للزوج بالصورة التي يراها وتلك مهمتها الأساسية .

أما المرأة المسيحية فقد حبست حبسا لا تخرج منه إلا باقتراف ذنب مخجل أو ادعاء اقترافه دون سند من وحي أو وصية من نبي مرسل ؛ وقد عصفت بعض المجامع المسيحية بمكانة المرأة فأدرجوها في جدول أعمال المجمع المسكون (ماكون)

لدراسة طبيعتها وهل هي جثمان بحت ؟؟؟ وغلب على فكر رجال اللاهوت : " أنها جسد خال من الروح الناجية ولا استثناء لامرأة من ذلك إلا مريم العذراء " .
أما المرأة اليهودية فلم تكن أفضل حالاً من المرأة المسيحية وقد كتب عليها التشرد مع أهلها ، لقد تاهت مع الذين كتب عليهم التيه أربعين عاما في سيناء بعد أن استحياها فرعون ذليلة مهينة مهانة ؛ وساقها ملك أشور سوق العبيد سبية مهينة عام ٤٧٠ ق.م ؛ ثم ساقها ملك بابل رقيقة ذليلة وعاشت في مملكة بابل بأثواب دينية جديدة وعادات وتقاليد جديدة غابت فيها كل ما عرفته من عادات اليهود وتقاليدهم كما هو حال كل ذليل يخضع لحاكم أقوى وأشد جبروتا ؛ثم احتلهم الاسكندر الأكبر عام ٣٣٢ ق.م فكانت حياة المرأة اليهودية في ذل دائم ؛ ثم كان آخر المطاف في التشرد أن حكمها اليونان فقتلوا الرجال واستحيوا النساء للخدمة والمذلة ؛يضاف إلى ذلك ما يدعيه كهنة اليهود من أن شريعة موسى تحرم المرأة من الميراث إذا كان لها أخ أكبر حسبما جاء في سفر التكوين في الفقرة الخامسة والسادسة .
أما وضع المرأة في المجتمع العربي فهو شديد الاختلاف والأنماط، فهي حاكمة في سبأ مثل بلقيس ؛ وهي شاعرة مثل الخنساء ؛ وهي تاجره مثل خديجة – رضي الله عنها ؛ وهي مسعرة حرب مثل هند بنت عتبة ؛ وهي موءودة كما كانت تفعل قبائل بني سليم وبني أسد ؛ وكل هذه الأوضاع العالمية لم نضع المرأة في موضعها الفطري السليم .

- **وضع المرأة في الحضارة الإسلامية :**

جاء الإسلام فوضع المرأة في مكانتها الفطرية وقد صحح النظرة إلى بدء خلقها يقول تعالى : **{ يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا }** النساء / ١ ؛ فالآية على أحسن ما ارتآه المفسرون تفيد الاستواء في أصل الخلقة لآدم وحواء ، فهما من نفس واحدة ومن طبيعة واحدة والنساء في الإسلام شقائق الرجال ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف .
وكانت النظرة الوجدانية العامة والتي لا تزال بعض خصائصها موجودة إلى اليوم أنه إذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من

سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ؟ . وصورة الاشمئزاز من ولادة البنت ظاهرة واضحة في الصين المعاصرة ، ذلك أن قوانين تحديد النسل الصارمة تجبر كل أسرة ألا تزيد على مولودين فإذا كان المولود الثاني أنثى قتلها أبوها عسى أن ينجب ذكرا بعد ذلك لأن في الإبقاء عليها حرمانه من الولادة الثالثة التي يظن أنها قد تأتيه بذكر .

وحتى في أمريكا في العصر الحاضر فإن الكثير من الأمهات يقمن بوأد البنات بالطرق الحديثة ، ففي أثناء الحمل تقوم الأم بعمل اختبار للجنين فإذا تبين أن الحمل أنثى أسقطته لأنها تريد الولد ولا تريد البنت .

وهذه الفكرة الخاطئة عن ولادة البنت في شتى العصور وفي مختلف البلاد عالجها القرآن الكريم بالنعي على تبلد المشاعر الجاهلية وعدم تفهمها لدور الأنثى في الحياة فهي أصيلة في نظام الحياة أصالة الذكر بل هي المستقر له ، فهي أشد أصالة لبقاء الأسرة والنوع البشري فكيف يغتم بها من يبشر بها وهو لا يملك أن يصور في الأرحام ذكرا أو أنثى ، فالله تعالى وحده هو الذي يهب الحياة والنمو : **{هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء لا إله إلا هو العزيز الحكيم }** آل عمران /٦ وذلك وحده كاف لاستقبال المولود ذكراً أو أنثى بالغبطة والفرح وجميل الاستقبال ، ولذلك جعلها الله تعالى الهدية الأولى والعليا والعطية الممتازة في قوله تعالى :**{ لله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكراناً وإناثا ويجعل من يشاء عقيما إنه عليم قدير}** الشورى / ٤٩ - ٥٠ .

لقد جعل الله تعالى الإنجاب هبة من هباته ومنحة من منحه وعطية من عطاياه وجعل الإنجاب في جوار خالقيته المطلقة **{ يخلق ما يشاء }** ، فالعطية من فضله العظيم وسعة وجوده الفياض ، إذ لا مانع لما يعطي ولا معطي لما يمنع وجعل هذا العطاء والخلق في إطار سلطانه وملكه ؛ ثم قدم هبة الأنثى لتكتسب الأنثى شرف جوار الخالقية الموضوعة في إطار ملكية الله تعالى للسماوات والأرض ، فهي ألصق بالجلالة لكمال السلطان فاكتسب هبة الإناث بهذا الجوار علو منزلة على عطية الذكور وزكت الأحاديث النبوية هذا الجوار بمنزلته الرفيعة ففي الحديث الشريف :

" إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت : هذا مقام العائذ بك من القطيعة ، قال : نعم ألا ترضين أن أصل من وصلك وأن أقطع من

قطعك ؟ قالت : بلى ، قال : فذلك لك " رواه مسلم . فقد وضع الإسلام المرأة على بساط التكريم والاحترام والمودة ، وهكذا يتهيأ المجتمع نفسيا ليستقبل وليدته بصدر مطمئن ونفس راضية وثقة في عون الله .

وكانت المرأة في الجاهلية تطوق بعدة قيود ففكها الإسلام طوقا طوقاً ، ووضع المرأة بأهليتها الإنسانية في الموضع الطبيعي الذي أعدت لتحمل مسئولياته ؛ فقد منحها أهلية التعبير عن إرادتها في أخص خصائصها وهو تكوين البيت السعيد، وفي الحديث الشريف : " **لا تنكح البكر حتى تستأذن ، قالوا : يا رسول الله وكيف إذنها ؟ قال : أن تسكت** " رواه مسلم ؛ كما جعل ملكيتها مستقلة عن ملكية الرجل ، وجعل ملكيتها محترمة قال الله تعالى : **{ للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضاً }** النساء / ٧ ؛ فصياغة جمل الآية القرآنية جاءت مؤكدة لملكية المرأة ولاستقلال ملكيتها .

كذلك احترم الإسلام إرادتها في التصرف وجعلها حرة لا سبيل عليها حيث قال جل جلاله : **{ وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا }** النساء / ٧ ؛ فقد برزت الصورة التركيبية للآية الكريمة بما لا يحتمل اجتهاداً من أحد في جواز أخذ شيء ولو يسير دون إذنها ، فالفعل (طاب) يتعدى بالباء ولكنه في الآية الكريمة متعد بكلمة (عن) الدالة على المجاوزة بما يفيد أن أخذ شيء من مالها لا يجوز إلا بعد تجاوزها هي برغبة طيبة منها ورضاها وإظهار ذلك المسموح به جزءاً معبرا عنه بشيء ليدل على كمال تصرفها ومطلق ملكيتها ، وأتى بالفاعل تمييزاً (نفسا) للدلالة على أن الأساس في إباحة أصل الشيء مرتبط بالسماحة اللينة في تبرعها الناشئ عن طيب إرادتها دون مؤثر ولو كان هذا المؤثر سيف الحياء .لقد قلب الإسلام موازين الجاهلية في الشرق والغرب فيما يتعلق بمكانة المرأة ووضعها في مكانتها التي خلقها الله تعالى لها والصانع أدرى بصنعته والصنعة يصلحها قانون صانعها ، فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب مهين .

- **الحضارة الإسلامية وتكريم المرأة :**

ويتحدث الأستاذ الدكتور محمود قمبر أستاذ التربية بجامعة قطر عن الحضارة الإسلامية وتكريم المرأة فيها في كتابه دراسات تراثية في التربية الإسلامية فيقول : " الإسلام دين علم وثقافة

وحضارة ، وقامت الحضارة عن الإسلام وقامت معه ووجدت أصولها منذ بداية تكوين المجتمع الإسلامي سواء الأصول الفكرية أو العقدية أو التنظيمية والعملية وفي كافة مجالات الحياة العلمية والاجتماعية والعسكرية والإنتاجية وغيرها ؛ ولقد قامت الحضارة الإسلامية ودامت قروناً طويلة وحملت مشاعلها تضيء جوانب الدنيا واقتبست منها أوروبا وتقدمت علومها وفنونها على أساسها .

لقد كرم الله تعالى الإنسان وجعله خليفته في الأرض وسخر له ما في الوجود والمرأة إنسان ؛ وجعل الإسلام النساء شقائق الرجال ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف فالمرأة ترث وتورث تتعلم وتتعلم تتعبد وتخرج للصلاة وتشهد في القضايا ولها أن تحكم فيما تشهد فيه إذا اضطرتها الظروف .

والمرأة أم مكرمة ترقد الجنة تحت أقدامها ؛ والمرأة زوجة لا تزوج دون رضاها ولها أن تشترط عند الزواج أن يكون الطلاق بيدها ، ولها على الزوج حقوق كما أن عليها حقوق والمعاشرة بالمعروف أو التسريح بإحسان ".

فقه الأسرة في الإسلام وأثره في استقرار الحياة الزوجية

فضيلة الأستاذ الدكتور حسن عيسى عبد الظاهر الأستاذ بكلية الشريعة بجامعة قطر يتحدث عن فقه الأسرة في كتابه " فقه الأسرة " فيقول : " فقه الأسرة يقصد به : الأحكام التي شرعها الله تبارك وتعالى وذكرها في كتابه وعلى لسان رسوله لإقامة حياة أسرية سعيدة ، وتشمل كل ما يتعلق بالأسرة من أحكام : حقوق الزوج وحقوق الزوجة والحقوق المشتركة بينهما وما يتعلق بالتراع الذي قد يحدث ويترتب عليه خلل في الأسرة قد ينهي الحياة الزوجية بالطلاق أو الموت وما يترتب على ذلك من أحكام من ابتداء الخطبة إلى الزواج والإنجاب ثم ترك الحياة وحمل للاسم " .

وفي تكوين الأسرة يقول الله تعالى : { **يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة** } وهذا هو الطرف الأول {**وخلق منها زوجها ليسكن إليها** }وهذا هو الطرف الثاني ، { **وبث منهما رجالا كثيرا ونساء** } وهذا هو الطرف الثالث زوج وزوجة وأولاد وتنمو الأسرة بعد ذلك ويكون للأعمام أولاد { **واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام** } .

إن نظام الأسرة نظام إنساني وجد قبل أن يوجد الإنسان على الأرض ، فقد خلق الله تعالى آدم وأسكنه الجنة والذي ينقص آدم في الجنة هو الزوجة وهنا بدأت الحياة الإنسانية ؛ ولما نزل آدم إلى الأرض كانت معه زوجته { **قلنا اهبطوا منها جميعا** } وسيظل أساس الجنس البشري رجل وامرأة قد يلتقيان على طريق مشروع : الزواج وهذا ما شرعه الله تعالى أو عن طريق غير مشروع وهذا حرمته الشريعة وعاقبت عليه ؛ والحياة مستمرة إلى ما بعد الدنيا فمن سعادة الرجل أن تكون معه زوجته في الجنة : { **ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون** } الزخرف / ٧٠ ، وكذلك في جهنم يكون الرجل والمرأة معا { **احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم** } الصافات / ٢٢ ،٢٣ .

ففي الحياة الدنيا الحياة الزوجية تقوم إما على عادات وتقاليد وإما على شرائع، وقد تفرد الإسلام بأنه وضع نظاماً وضوابط لإقامة حياة زوجية سعيدة لو التزم بها

الزوجان لصارت الحياة كلها سعادة وهذا ما سمي بـــ " فقه الأسرة " والأسرة يتابعها الفقه الإسلامي خطوة خطوة :

☐ **ما قبل الزواج :**

فالإنسان قد يكون همه المال فلكي يخرج الزوج من الفقر أو الزوجة يكون الزواج بهدف الحصول على المال ، وهذا الإنسان يعتبر لصاً يريد أن يسيطر على امرأة ضعيفة وقد يتركها لغيرها للمال والمرأة كذلك ؛ وقد يتزوج الإنسان للحسب وماذا يحدث إذا مات الأب أو الأخ الذي سيوصل الإنسان إلى ما يريد ؟ وقد يتزوج الإنسان للجمال والجمال شيء نسبي وعرضي قد يزول بالإنجاب أو بكبر السن وقد يتغير مزاج الإنسان والإسلام يقول : " **فاظفر بذات الدين تربت يداك** " وذات الدين في الإسلام هي التي تدرك مسئولية البيت وإدارته فهي فتاة ناضجة ذات عقل واع وقلب كبير وعاطفة متزنة وأفق واسع تدرك معه الحياة ؛فالإسلام ينشئ إنسانا متوازنا في كل شئ يعرف لله تعالى حقه ولنفسه حقها وللمجتمع حقه ويتعامل مع الكون كله ومع الحياة كلها ويرتبط بمستقبل ويتعامل مع عالم الغيب ، وهذا الإنسان ليس مضطرب العاطفة ولا منغلق التفكير فالمتدين له عقل ناضج وإرادة قوية وعاطفة متوازنة وأفق مفتوح على الكون كله والمرأة كذلك تظفر بصاحب الدين يقول النبي – صلى الله عليه وسلم – : " **إذا جاءكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه** " البخاري .

والفقه الإسلامي وضع اللبنة الأولى للزواج ، فالزواج ليس متعة مؤقتة بل هو على التأبيد لا يفرق بين الزوجين إلا الموت أو الطلاق ولو وجد العقد المؤقت لكان العقد باطلاً ثم الخطوة الثانية وهي الخطبة ، والشعوب لها تقاليدها فقد يُترك الحبل على الغارب للفتاة المخطوبة وكأنها زوجته وقد تحدث الكارثة وقد يغلق الباب كله ، والإسلام دين الوسط فهو لا يحجب أحدهما عن الآخر ، وقد أباح للخاطب أن يرى مخطوبته وأن ينظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينهما وذلك في وجود بعض المحارم .

والإسلام يضع قواعد لبناء الأسرة كالذي يبني بيتاً ضخماً وهذه القواعد هي :

١) **عقد الزواج** : صيغة عقد الزواج تقوم على الإيجاب والقبول وهذا يعني رضاء الطرفين وبدون ذلك لا يتم الزواج ، وقد شكت فتاة إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – أن أباها يريد أن يزوجها من ابن أخيه ليرفع بها خسيسته فقال

لها عليه الصلاة والسلام " **الأمر إليك إن شئت أمضيت وإن شئت رفضت** " فقد ترك لها أمر الاختيار ، وهي فتاة بكر والأيم تُستأمر ويُؤخذ رأيها بصراحة "وأخذنا منكم ميثاقاً غليظا " للإيجاب والقبول ثم يأتي دور ولي الأمر وقد أراد الإسلام للفتاه ألا تكون وحدها فجعل ولي الأمر معها يؤازرها ويناصرها لا كبتا ولكن حماية من ذئاب البشر وليس لولي الأمر أن يجبر فتاته على الزواج .

٢) **المهر** : والمهر ليس أجراً ولا ثمنا إنه حق خالص للفتاة وليس للزوج ولا ولي الأمر أن يأخذ منه شيئاً إلا إذا طابت نفسها { **وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فإن طبن لكم عن شئ منه نفساً فكلوه هنيئا مريئا** } النساء / ٤ .

٣) **الشهود** : والشهود لتوثيق العقد حتى لا يحدث جحود بمرور الزمن فينكر الزوج زوجته أو تنكر الزوجة زواجها من رجل ولهذا وثق العقد ودخلت الدولة طرفا ثالثاً في التوثيق على يد القاضي أو المأذون ، تأخذ الزوجة صورة من التوثيق ويأخذ الزوج صورة وتبقى صورة في سجلات الدولة.

❑ **ما بعد الزواج :**

وبعد الزواج تصبح الزوجة أقرب إلى الزوج من جميع الناس ، وكذلك الزوج يصبح أقرب إليها من جميع الناس وهذه العلاقة لا بد وأن تستمر وقد وضع الله تعالى لهذه العلاقة قواعد لو تأملناها في قاعدة واحدة لاستطعنا أن نرى كيف نكون سعداء في حياتنا الزوجية يقول تعالى : { **ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة** } الروم / ٢١ ؛ وقوله تعالى { **ومن آياته** } يعني من نعمه ومن دلائل قدرته فالزواج آية من آيات الله تعالى والأسرة نعمة من نعمه والزوجية رحمة من رحماته والزوجة شقيقة الزوج في الإنسانية فهي ليست من الجن ولا من الملائكة ولا من عالم البحار وذلك لكي يتم الانسجام وهذا يعلي من قيمة المرأة التي كان يُنظر إليها في الحضارات السابقة على أنها مخلوق من روح خبيثة أو من الشيطان أو هي جزء من أثاث البيت للمتعة .والإسلام يقول أن المرأة مثل الرجل تماماً لها حق التملك وحق الإرادة وحق الحرية فهي ليست خادمة ولا عشيقة ولا مأجورة ولكن الزوجين كل منهما سكن للآخر . الزوج المضني في عمله يأوي إلى بيته ليجد راحة البدن والنفس وطمأنينة الخاطر فينـــزع عنه التعب والضيق ويطرح كل ذلك على باب بيته ، وحين يدخل البيت فإنه يدخل للسكن والراحة والطمأنينة لا

يجد مشكلات ولا متاعب - البيت للسكن يجد فيه المودة والتعاطف والرحمة - ولا بد من التغاضي عن كثير من الهفوات والبعد عن المنازعات ؛ نعم قد تحدث خلخلات أو صدمات والعلاج يكون في البحث عن أسباب الخصومات حتى يمكن الحل على أساس سليم ، فقد يكون السبب من الخارج فيعالج وقد يكون من الداخل فيعالج ، فإن كان الزوج قائماً بواجباته فالعلاج رسمه الله تعالى في قوله :
{ واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن } النساء / ٣٤ .

والوعظ يعني أن يخاطب الزوج في زوجته عقلها وعاطفتها ، يخاطب العقل بالكلمة الهادئة ويخاطب العاطفة بالهدية أو بزيارة بعض الأقارب ، فالوعظ يعني البلوغ بالزوجة إلى حد إقناع العقل وإرضاء العاطفة. أما الهجر في المضاجع فعلى الزوج ألا يهجر في أثناء الأكل ونحوه بل يتحدث ويعاشر بالمعروف إلا في هذا الظرف وفي للظرفية ثم يصبحان وتمضي حياتهما . والضرب آخر العلاج وليس كل زوج يَضرب وليس كل زوجة تُضرب وليس على كل شئ يكون الضرب فقد تكون الخصومة من الزوج نفسه حالة من حالات الإعراض والسكوت وعدم الحديث مع الزوجة حالة نشوز من الزوج وقد عالج الإسلام هذا في قوله : **{ وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير }** النساء / ١٢٨ ، فلا أحد يتدخل لأن بين الزوجين أشياء خاصة لا يصح أن يطلع عليها أحد ، السبب خاص لا يُقال فالصلح يكون بين الزوجين ؛ وقد يكون النـــزاع منهما ويعالجه القرآن الكريم في قوله : **{ وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما }** النساء / ٣٥ ؛ وفي الحالات الثلاث المرأة الناشز والرجل الناشز والزوجان الناشزان ، فكيف يكون العلاج ؟

في حالة نشوز المرأة فالعلاج في يد الرجل هو الذي يعطي وهو الذي يهجر في المضجع فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً ، وهكذا يقوم الإسلام بفقه الأسرة ليكون حارساً لبناء الأسرة ولو أن كل زوجة عرفت أحكام فقه الأسرة ولو أن كل زوج عرف فقه الأسرة لاستقام حال المجتمع ،ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا .

• ○○●○○ •

دور المرأة في الحضارة الإسلامية

ويأتي سؤال وهل للمرأة دور واضح في الحضارة الإسلامية ؟
وقد أجاب عن هذا السؤال فضيلة الأستاذ الدكتور رؤوف شلبي - رحمه الله تعالى - في محاضرة له بجامعة قطر فقال : ينظر الإسلام إلى الحياة نظرة واقعية حسب ما أودع الله في الكون وفي الإنسان وفي كل المخلوقات من قوانين وملكات وخصائص ؛ والمرأة شريكة الرجل في هذه الحياة ولابد لها من دور تقوم به، ويمكن بالنظرة الواقعية لأحداث التاريخ الإسلامي في صدر الإسلام أن نحدد هذه المجالات التي قدمت المرأة فيها دورا بارزا بما يلي : -

أولاً مجال الدعوة الإسلامية :

في هذا المجال نجد للمرأة عدة نماذج في مقدمتهن خديجة أم المؤمنين وأسماء بنت أبي بكر والسيدة سمية .

ثانياً مجال العمل السياسي والدبلوماسي والعسكري :

ومنذ الفجر الصادق للحياة الإنسانية ببزوغ شمس الإسلام والمرأة المسلمة تمارس حياتها في عزة وشرف منذ القرن الأول الهجري أيام أن كانت نساء أوروبا مازلن محبوسات في داخل الغرف التي ليس بها نوافذ ويُنظر لهن اجتماعيا على أنهن من سقط المتاع ، ومن هؤلاء النسوة السيدة نسيبة بنت كعب بن مازن بن النجار الأنصارية [أم عمارة] ممن حضرن بيعة العقبة الثانية، وكانت محاربة ففي غزوة أحد كانت مدافعة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وكانت حاجزة لثوبها على وسطها حتى جُرحت ثلاثة عشر جُرحاً ، وظلت حاملة سيفها ورمحها ودرعها حتى يوم اليمامة يوم اللقاء مع مسيلمة الكذاب حيث قُطعت يدها في ذلك .

ثالثاً مجال الإمداد والتمويل والتمريض :

وقد كانت أم سليم تزفر القرب يوم أحد وتقديرا لها أعطاها عمر بن الخطاب أجود المروط التي وزعت على نساء المدينة ، وفي حديث للبخاري يقول أبو طلحة - وكان رجلا راميا شديد النزع كسر يومئذ قوسين أو ثلاثة - : " ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر وأم سليم

لمشمرتين أرى خدم سوقهما تُنفذان القرب على متونهما تفرغانه في أفواه القوم ثم ترجعان فتملآنها فتفرغانه في أفواه القوم " .

وكانت السيدة رفيدة بنت ثابت بن فاكه الأنصارية تعالج الجرحى وتمرض المصابين في القتال .

رابعاً مجال العلم والمعرفة والأدب والفكر :

لقد كانت السيدة عائشة مثالا يحتذى به وقدوة عليا للمرأة المسلمة ؛ وكان مسروق إذا حدث عن عائشة قال : " حدثني الصادقة بنت الصديق " ؛وكانت عائشة - رضي الله عنها - أفقه الناس وأعلم الناس وأحسن الناس رأياً في العامة كما قال مسروق ، وقال أبو بريدة ابن أبي إسحاق عن أبيه : " ما رأيت أحداً أعلم بفقه ولا بطب ولا بشعر من عائشة " ؛ والخنساء الشاعرة المشهورة من بني سليم ذكروا أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يستنشدها ويعجب بشعرها وهي تنشده وهو يقول : " **هيه يا خنساء ويومئ بيده** " ، وذكروا أن الخنساء حضرت حرب القادسية ومعها بنوها الأربعة فذكرتهم ووعظتهم وقالت : " إنكم أسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين وإنكم لبنوا أب واحد وأم واحدة فسيروا على بركة الله " ، فلما أصبحوا باشروا القتال واحدا بعد واحد حتى قتلوا جميعاً ، فلما بلغها الخبر قالت : " الحمد لله الذي شرفني بقتلهم وأرجو الله أن يجمعني بهم في مستقر رحمته " .

خامساً مجال الأمن والجوار السياسي :

وقد حفلت السيرة النبوية وتاريخ الغزوات والسرايا بالعديد من قيام المرأة المسلمة بجوار رجال أو سيدات استغيث بهن ؛ منهن السيدة زينب بنت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - التي أجارت العاص الذي وقع أسيراً للمرة الثانية فقال النبي : " **إنه يجير على المسلمين أدناهم** " ؛ وفي يوم الفتح الأعظم [فتح مكة] أجارت أم حكيم زوجة عكرمة ابن أبي جهل زوجها من إهدار دمه وقد أمنه النبي - صلى الله عليه وسلم - لذلك وكذلك أجارت أم سلمة - رضي الله عنها - أم كلثوم بنت عقبة بن أبي بُعيط وقد رحب النبي بها ؛ وكذلك أجارت أم هانئ بنت أبي طالب يوم الفتح الأعظم رجلين من المشركين هما الحارثة بن أمية وزهير بن أمية فقال لها النبي - صلى الله عليه وسلم - : " **أجرنا من أجرت يا أم هانئ** " .

دور الاستشراق في تغريب المرأة المسلمة

قال الأستاذ الدكتور عبد الفتاح بركة الأمين العام الأسبق لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف في محاضرة له بجامعة قطر :

للاستشراق تاريخ طويل تغير فيه جلده عدة مرات وفقا لتغير الظروف والملابسات ووفقا لتطور الأفكار والاتجاهات ، ولكن دوافعه التي بدأ منها ظلت كما هي بغير تعديل ولعل مرور الزمن أضاف إلى هذه الدوافع عنفواناً وقوة وبخاصة بسبب ما أحرزه في جولاته من انتصارات كانت بطيئة في أول أمرها مما زاده إصراراً وعناداً وسرعة إيقاع عميقة الوقع فيما تلا ذلك ، مما ضاعف من اندفاعه وإحكام خطواته .

لقد كان هناك صدام عسكري بين المسلمين وبين سكان أوروبا ، ثم أدرك الغربيون أن القوة العسكرية وحدها ليست كافية في حسم المعارك ، وأن ما رأوه من خصومهم المسلمين من علم وحضارة ومدنية وما يعتمد عليه ذلك من عقيدة ونظم وأخلاق وما يرتبط به من عادات وتقاليد تجمعهم جميعاً على وحدة شاملة في الفكر والمشاعر والسلوك ، تجعل من الصعب هزيمتهم بحد السلاح أو التغلب عليهم بالمواجهة في ميادين القتال .

ولقد استفاد الغرب استفادة بالغة الثمار العلمية ، ومناهجه العملية لا تلزمهم أن يعترفوا بأصلها ولأنهم يمكنهم أن يمهروها بأية علامة من علاماتهم التجارية إمعاناً في تزيفها وفي ادعاء أحقيتهم بها ؛ أما حقائق الإسلام وعقيدته ونظمه وقواعده الإنسانية والأخلاقية والاجتماعية فقد منعتهم مشاعر الكراهية والبغضاء عن أن تكتحل عيونهم بأنوارها ، وزُين لهم سوء أعمالهم فرأوها حسنة، وبدؤوا يتبارون في اختراع الأكاذيب ونسخ الخيالات المنفرة عن الإسلام وعن نبي الإسلام وعن كتاب الإسلام وعن تاريخ الإسلام وعن كل ما يمت إلى الإسلام مبررين ذلك بقاعدة أخذت عندهم مأخذ التسليم هي : " خُبث الإسلام " ، ويكفي ذلك لنسبة أي خبث إليه ، فيقولون مقالة جلبرت دي نوجنت سنة ١١٢٤ م : "لا جناح على المرء إذا ذكر بالسوء من يفوق خبثه كل سوء يتصوره المرء" .

وكانت أهدافهم من الناحية الدينية تحطيم الإسلام دينا وثقافة وحضارة ونظاماً ، وفرض الدين الأوروبي على المسلمين كَرهاً وطواعية ؛ ومن الناحية السياسية عملوا على إذلال العالم الإسلامي وإخضاعه ومحو شخصيته ومعالم تَمَيزه وتفتيت وحدته وأسباب تماسكه ، بحيث يسهُل توجيهه بما فيه تأكيد السيادة الأوروبية واستمرار نفوذها ؛ ومن الناحية الاقتصادية كانت أهدافه السيطرة على مصادر الثروة واحتكارها وترويض اليد العاملة واستغلالها ؛ ومن الناحية العسكرية كانت أهدافه تحطيم عوامل القوة أولاً بأول وتأكيد مشاعر الخوف والرهبة والصغار ، وفرض نظرية التفوق الأوروبي .

ولقد عرف الغرب قديما - وتأكدت المعرفة حديثا - بأن العالم الإسلامي لا يمكن أن يُخدع أو يقبل الاستسلام مادام على وعي بدينه وفهم بكتابه وتمسك بآدابه ، ولا يمكن قطعه عن أصوله وتراثه إلا بإعطائه بديلاً يغريه وشاغلاً يلهيه ، وكان خير ما تفننت عنه أفكارهم إغراؤهم بمظاهر الحضارة الغربية فيجني من ذلك ترويض هذا الكيان المتمرد وتأليفه على معاشرة هذا السيد وذلك عن طريق إزالة عاداته وتقاليده ، وإحلال العادات والتقاليد الغربية محلها ، واستبدال مناهج الفكر الغربية وطرائقها بمناهج الفكر الإسلامي وطرائقه وبذلك تزول غربة الغربي في بلادنا مقابل شعور المسلم بغربته في بلاده فيزداد الغربي تحكما ويزداد المسلم انقيادا واستسلاما ، وتتحقق أهداف الغرب في بلاد المسلمين بأيسر السبل وأقرب الطرق ، إنه يستطيع تحقيق أهدافه عن طريق المسلمين أنفسهم الذين أصبحوا ينظرون بعينه ويفكرون بعقله ويؤدون مهماتهم عن طريقه ولحسابه ، ومن هنا كان التبشير الذي هو أداة التغريب الحل الأمثل الذي توصلوا إليه ونشطت أجهزتهم في تنفيذه ، ومن النواحي الإسلامية التي تركزت عليها في عنفوان بالغ تلك الهجمة الاستشراقية ناحية الأسرة التي هي من أهم المؤسسات الإسلامية ومرتكزا من أهم المرتكزات في المجتمع الإسلامي .

ومن المعلوم أن الحضارة الغربية مرتبطة أشد الارتباط بتلك الحضارات البائدة السالفة عليها من حضارة اليونان والرومان ، نجد ذلك في كثير من تلك الأفكار العامة والمذاهب الفلسفية والنظرة الإنسانية ؛ وعندما اجتازت البلاد الأوروبية عصورها الوسطى ودخلت عصر النهضة وأصبحت لها قوانين انعكست مثل هذه النظرات القديمة حتى في القوانين ، ومن ذلك القانون الإنجليزي الذي كان يبيح

للرجل أن يبيع زوجته حتى سنة ١٨٠٥ م ، وكان القانون الفرنسي ينص على أن القاصر ثلاثة الصبي والمجنون والمرأة حتى عام ١٩٣٨ م ، وما تزال المرأة تدعى باسم أبيها طالما كانت في كفالته فإذا انتقلت إلى عصمة الرجل دعيت باسمه فإذا تبدلت به تبدل اسمها تبعا لذلك .

وإذا نظرنا إلى ظاهرة وضعها الآن في المجتمع الغربي – وهو الوضع الذي تريد أجهزة الغرب للمرأة المسلمة أن تسير عليه – فما علينا إلا أن نرجع إلى عصور الإقطاع الأوروبي ثم انتقاله إلى عصور البرجوازية والثورة الصناعية ، فبينما بقيت المرأة أسيرة لقوانين الكنيسة المصطنعة التي تمنع تعدد الزوجات كما تمنع الطلاق ، فقد وقعت المرأة فريسة التطور الاقتصادي السريع الذي هيأه ما ترتب على انحسار الموجات الصليبية من اتساع نطاق التعامل التجـــاري بين أوروبا والبلاد الشرقية وظهور طبقة من التجـــار والبرجوازية ، ثم ظهرت بعد ذلك الثورة الصناعية التي اعتمدت على التوسع في استعمال الآلة وتطورت صناعة التعدين فظهرت المصانع الكبيرة وتركزت في المدن وتكونت الاحتكارات الرأسمالية الضخمة التي تحتكر في أسواق العمالة البشرية وأسواق المواد الخام والمصنعة ؛ وبدأ استغلال كل شئ استغلالاً بشعا كريها وتحميل العمال كثيرا من البلاء من جراء هذا التحكم الاحتكاري ، وتشردت الأسر وتمزقت وحدتها وبدأت المرأة -وهي أضعف العناصر في المجتمع الأوروبي- تشارك أطفالها سوء الاستغلال ، حيث كن يعملن في هذه المصانع الساعات الطويلة بالأجور القليلة رغبة في إمساك الرمق مما ساعد على زيادة تمزق الأسرة وتشتتها وانحطاط الصحة والأخلاق والشعور بالذل والهوان والضياع مما جعلها في واقع أمرها رقيقا مهينا أبشع مما كانت عليه في عهد الإقطاع عندما كانت الأسرة كلها تعتبر من أقنان الأرض المسخرين لملاكها من أمراء الإقطاع ، ومن هنا بدأت عوامل التماسك تتمزق في الأسرة تحت ضغط الحاجات المادية ، ثم تطور الشعور بالذل إلى المطالبة بوضع أفضل للمرأة و لم يكن هذا الوضع الأفضل متصلاً بكرامتها وصيانتها واستقرارها ولكنه كان يتصل بالنواحي المادية في حياتها وأصبحت المساواة بينها وبين الرجل قضية تتصل بسوق العمل والأجر .

ومع بقاء القيود الكنسية في منع الطلاق ومنع تعدد الزوجات كانت المطالبة بحرية المرأة في الحركة والتعبير وفقا للتطور المادي المحموم في المجتمعات الأوروبية ، وكما

هي العادة في كل المجتمعات الأوروبية من حيث التفسير الذي تنطلق منه وتنتهي إليه وهو الصراع بين العمال وأصحاب الأعمال ، الصراع بين المنتجين والمستهلكين ، كان كذلك الصراع بين الرجل والمرأة ، وأصبحت العلاقة بين الرجل والمرأة معركة لا يمكن أن تنتهي ؛ ولقد ظنت المرأة الأوروبية في خضم انشغالها في هذه المعركة أنها تحقق في كل يوم انتصاراً وهي في الواقع تبتعد عن تحقيق ذاتها كربة بيت وراعية أسرة وحاضنة أجيال وصانعة أمة ورجال ، تبتعد عن تحقيق كرامتها كأنثى لها حياؤها وعفافها وصيانتها عن أن تكون نهبا مباحا للأيدي والعيون ؛ ولكنها وقعت في مصيدة صنعتها بنفسها وأتقن تجار المباذل والشهوات والوالغون في الأعراض والحرمات الذين يقيسون الكرامة البشرية بالدراهم ؛ نعم أتقن هؤلاء وسائل إغراء المرأة وإحكام الحصار عليها لكي تعيش على الدوام عارضة فتنة وبائعة شهوة ومثيرة نزوة .

وفي الوقت الذي ضاقت على المرأة قيود الأسرة الكنسية عن طريق منع تعدد الزوجات وتقييد الطلاق في حدود ثبوت الجرائم الخلقية إذا بالقوانين المدنية تزيل الحواجز وترفع العقبات وإذا بالقيود الاجتماعية جميعها تنحل لتسمح بحرية الحركة والتصرف في أنوثتها كيفما أرادت ؛ وتحت شعار المعركة مع الرجل اندفعت تحقق المساواة وتتحرر من القيود الأنثوية في مجال المعاملة المادية فأصبحت تلبس كما يلبس الرجل وتعمل في كل الميادين كما يعمل الرجل وتطلب المساواة في الأجر بالرجل ، ثم تنسى في غمرة هذا كله وضعها كامرأة وأنثى فتطارد الرجل بدل أن يطاردها ، وتلبس العاري والقصير والواصف والشفاف ، وتتجول على الشواطئ شبه عارية وتقف على المسارح وفي الحفلات العامة والخاصة شبه عارية لتقدم فنها الأنثوي الجميل بغير تحفظ ولا تصون .

ومن الغريب أنها حين تطالب بالمساواة مع الرجل فإنها تمتهن أنوثتها وتبيعها بثمن مرة وبغير ثمن مرات وتعتبر ذلك انتصاراً واعتزازاً بالأنوثة ، ومع وفرة الإغراء ووسائل الزينة والتجمل والتفنن في أنواعها واتجاهاتها فقد ظلت عوامل التفكك الأسري قوية وأسباب الانحلال الخلقي سارية ، ومكابرة المرأة لهذا الواقع لا تنتهي ؛ والواقع أن هذا الوضع كان يمكن أن ينظر إليه على أنه وضع طارئ على المجتمع الأوروبي ويمكن معالجته والعودة بالمرأة إلى وضعها الفطري الذي هيأه الله تعالى لها ، ولكن تجار المباذل والشهوات كانوا يفلسفون هذا الواقع القبيح ويزينونه

على قواعد فكرية يلبسون فيها الحق بالباطل فتصبح هذه الانحرافات في حق المرأة قواعد مبررَة ومبادئ مقررة تُبنى على أسس الحرية والمساواة والعدالة الاجتماعية وتزييف التقاليد ووصفها بالبلى وعدم مجاراة العصر والتطور العلمي والفني ؛ ثم تقوم على ترويج ذلك مؤسسات إعلامية ضخمة تمجد الإباحية باسم الحرية وتؤيد التمرد باسم المساواة وتهدم العلاقات الأسرية باسم التقدم الاجتماعي .

ودور التغريب هنا أن يضفي على كل الآفات والعيوب المتأصلة والمكانة المهينة التي وُضعت فيها المرأة الأوروبية تحت ملابس فاخرة وطلاء أدوات الزينة المختلفة وأغلفة الجرائد والمجلات وشاشات التلفاز والسينما وغير ذلك من وسائل الإعلام ، وأن يضفي على ذلك اسم الحضارة والمدنية والتقدم والرقي ويقدم ذلك على أنه الوسيلة الأساسية لنا إن أردنا أن نلحق بركب حضارتهم ونرتقي درجات مجدهم وعزتهم ونحصل على مثل رخائهم ورفاهيتهم .

ولقد انتهز الاستشراق فرصة تخلفنا وإهمالنا في معرفة أصول ديننا وسوء تطبيقنا لما نفهمه منها وبخاصة في حياة الجماهير العريضة التي كادت تنقطع صلتها بالعالم الإسلامي الصحيح ، فأصبحت المرأة تقارن بين حالها في مجتمعنا المتخلف - وهي حالة طارئة يمكن علاجها بالعودة الصحيحة إلى تعاليم الإسلام - وبين حالة المرأة الأوروبية التي تعرض عليها في أبهى زينة وأجمل خلقة ، ويشاد بها في المحافل والمجتمعات على أنها حياة مليئة بالنشاط والعمل من أجل بناء الوطن وكثرة الإنتاج ، وحياة مليئة بالحرية والكرامة من أجل التحرر من سيطرة الرجل وتحكمه وحياة مليئة بالمجد والفَخَار في دنيا الفنون الجميلة وأسواق الفتنة والجمال .

وقد بدأت هذه المقارنات بهجوم عنيف مستمر على قواعد إسلامية تتعلق بالإسلام ككرامة الأنثى وصيانتها وأهمية العلاقة الأسرية ورعايتها في وجه الحجاب الإسلامي من وراء الهجوم على الحجاب التقليدي في الشعوب الإسلامية المختلفة تركية وعربية وأفريقية وآسيوية ؛ كما هوجم تصون المرأة المسلمة عن الاختلاط بالرجال وذلك عن طريق آفات العزلة وما يترتب عليها من ضيق الأفق وجمود الفكرة وعدم القدرة على التكيف الاجتماعي وسوء التصرف في الأمور العامة ؛ وهوجم تعفف المرأة المستغنية عن العمل عن طريق الحرص على الطاقة البشرية وعدم إهدارها وحرمان المجتمع من ثمرات نشاطها وعملها وما يمكن أن تقدمه له من إنتاجها ؛ وهوجم انكماش المرأة عن الصفق بالأسواق باعتباره تجميداً

للثروات وتضييقا في الأرزاق ؛ وقد هوجم كذلك حرمان المرأة من القدر الكافي من التعليم على أساس أن ذلك ناشئ من احتقار المرأة ودورها في المجتمع ، وهو دور خطير يقدره الإسلام و لم يعرفه المسلمون .

نعم لقد هوجم كل ذلك باعتباره ازدراءً بالمرأة واحتقاراً لشأنها وحطا من كرامتها وحرمانها من أسباب الثقة التي ينبغي أن تحصل عليها وذلك في عفتها وعقلها وكفاءتها .

ومن ناحية العلاقات الأسرية هوجم المبدأ المعروف بإباحة تعدد الزوجات وذلك من منظور مسيحي كنسي مبرر عند المستشرقين بفلسفته اجتماعياً على أنه يهدم العلاقات الزوجية ويجعل المرأة أدنى إلى حياة الرقيق منها إلى حياة الأحرار ويسئ إلى العواطف الإنسانية الكريمة وينحط بهذه العواطف إلى مستوى الحيوان والشهوة البهيمية ؛ كما هوجم مبدأ إباحة الطلاق وذلك من منظور مسيحي كنسي مبرر عند هؤلاء المبشرين بفلسفته اجتماعيا باعتباره يهدم كيان الأسرة ويشرد الأطفال الأبرياء ويزعزع قواعد المجتمع ويلقي بالمرأة في أحضان المجهول ويدفعها إلى هاوية اليأس والقنوط ؛ ثم تُهاجم قواعد العلاقات الأسرية بعامة على أنها ازدراء بالمرأة واحتقار لشأنها والنظرة إليها وكأنها من سقط المتاع .

وإذا انتقلنا إلى الأمور العامة وجدناهم يهاجمون ما يسمونه عدم العدل في الميراث حيث يرون أن المرأة ترث في الإسلام على النصف من ميراث الرجل وأنها في الشهادة كذلك ، تقوم شهادة امرأتين اثنتين بشهادة رجل واحد ؛ وأنها محرومة من الحقوق السياسية والولاية العامة وأن ذلك راجع إلى النظرة القاصرة والحقيرة التي يضفيها الإسلام والمجتمع على المرأة .

وهم بذلك لم يدعوا محمدة من محامد الإسلام فيما يتعلق باحترام المرأة ورعايتها وصيانتها إلا هاجموها باعتبارها إهانة وإذلالا ونقيصة في حق المرأة ؛ وقد استغلوا في ذلك سوء أحوال المسلمين السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية وسوء فهمهم لدينهم واستعمالهم لحقوقهم تبعا لذلك ونسبوا ذلك كله إلى الإسلام ؛ ثم قدموا صورة بلادهم الناهضة المادية والعلمية في صورة حضارة جذابة ونسبوا ذلك كله لوضع المرأة في أوروبا و لم يعد أمام المسلمين خيار إن هم أرادوا لمجتمعهم أن ينهض للحاق بركب المدنية والحضارة من أن تقتفي المرأة المسلمة آثار المرأة الأوروبية وأن تطرح عن كاهلها أثقال الماضي والتقاليد بل وأوزار الإسلام

نفسه ؛ وقد تسللت هذه المفاهيم إلى المرأة المسلمة شيئا فشيئا وفقا لمخططات التغريب نفسه ، لأنه من غير المعقول علميا وعمليا أن تنقلب الصورة وجها لقفا دفعة واحدة وبخاصة إذا كان المقصود بالتغيير الإنسان وهو ذو فكر وإرادة وعاطفة ووجدان .

وفي مصر نجد أن التغريب بدأ منذ حملة نابليون حيث اصطحب معه في حملته عدداً من علماء الاستشراق الذين قاموا بدور خطير في هذه الحملة وفيما تلاها من حملات وعلاقات ، وهذا يؤكد أنه لا فرق بين الحملات العسكرية والحملات الاستشراقية إلا في ميدان العمل وأساليبه ووسائله ، وعندما ذهبت البعثات الدراسية إلى أوروبا أصبح هؤلاء المبعوثون من حيث يدرون ومن حيث لا يدرون وسيلة لتسريب وسائل التغريب .

وكان لتركيا سبق كبير في هذا المضمار فقد بدأ التغريب بصورة عامة تحت حماية العثمانيين أنفسهم أول الأمر ، ولعل الثغرة التي بدأ السيل التغريبي يتدفق منها على المرأة المسلمة في مصر كتاب " تحرير المرأة " وقد طبع في عام ١٩٠٠ م ، فقد ناقش قاسم أمين في هذا الكتاب مسألة الحجاب واشتغال المرأة بالشؤون العامة وتعدد الزوجات والطلاق ، وذلك بما يقرب هذه المسائل من طريقة الغربيين زاعما أن ذلك هو ما يمليه الإسلام ؛ ولقد حاول قاسم أمين في هذا الكتاب المزج بين الإسلام وبين مظاهر الحضارة الأوروبية ، ورد كثيراً من الأحكام الإسلامية إلى صور غربية مستعرضا ما يخص المرأة في منزلها بحبسها في عالم ضيق لبيان المضار الناشئة عن الجهل والحجاب وأن نقص أخلاقنا وبلادة إحساسنا في تذوق الجمال ليس مردها إلى جهل المرأة وحده بل لأن حجاب المرأة يحبسها في عالم ضيق ويحول بينها وبين العالم الحي عالم الفكر والحركة والعمل ويجعلها لا تنشغل إلا بسفاسف الأمور ؛ وقد أثار هذا الكتاب موجة عارمة من المعارضة في أول الأمر فأتبعه في العام التالي بكتاب " المرأة الجديدة " وهو يدافع فيه عن أفكاره الأولى ولكنه يعتمد فيه المنهج الغربي ، وكأن الأصل الديني ليس له علاقة حقيقية بزعم أن علماء الدين من المسلمين لم يراعوا الأصول حق المراعاة إنما فرضوا أفكارهم واجتهاداتهم باسم الدين ، وفي هذا الكتاب يدعو بقوة وحرارة إلى تعليم المرأة ونبذ الحجاب بما يؤهلها لمختلف ميادين العمل ثم يدعو في آخر الكتاب بدعوة صريحة إلى الأخذ بأساليب الحضارة الغربية فيقول :

" هذا هو الداء الذي يلزم أن نبادر إلى علاجه - أي إعجابنا الشديد بماضينا - وليس له دواء إلا أن نربي أولادنا على أن يتعرفوا شؤون المدنية الغربية ويقفوا على أصولها وفروعها وآثارها ، إذا أتى ذلك الحين - ونرجو ألا يكون بعيدا - انجلت الحقيقة أمام أعيننا ساطعة سطوع الشمس ، وعرفنا قيمة التمدن الغربي وتيقنا أنه من المستحيل أن يتم إصلاح ما في أحوالنا إذا لم يكن مؤسسا على العلوم العصرية الحديثة " .

وكان انهدام ركن الخلافة الإسلامية في تركيا وسيطرة الكماليين عليها مرحلة بعيدة المدى في التغريب ؛فبعد أن كان التغريب يأخذ مجراه خطوة خطوة فإنه أخذ يجرف في مجراه كثيرا من العقبات بقوة وعنف وذلك لأن الثورة الكمالية أخذت تفرض التغريب ومناهجه فرضاً بإجراءات إدارية رسمية وقانونية ، من ذلك أنهم فرضوا لسن الزواج حدا أدنى ، وقد ألغى الكماليون المحاكم الشرعية وحمل مصطفى كمال نساء تركيا على السفور والاختلاط بالرجال ومراقصتهم وأصبحت هذه المسائل مجال أخذ ورد وجدل ونقاش واتفاق واختلاف في مختلف بلاد الإسلام ، وقد قصد مخطط التغريب من وراء ذلك تعويد الآذان والعقول على هذه الأفكار والآراء حتى تزول غرابتها ، وقد اندفعت المرأة فخلعت النقاب ولونت ثيابها وقصت أطرافه وظهرت بثياب البحر على شواطئه وفي النوادي العامة المختلفة ، وعندما أرادت أن تترقى في سلم التعليم كان دعاة التغريب ورعاته يشرفون على ذلك ،فقد أقاموا لها الجامعة التي تُلزم طلابها وطالباتها الاجتماع معا في قاعات الدروس وبهذا يهيئ الجو للاختلاط وزالت الرهبة النفسية منه وتهيأت المرأة للعمل في الوظائف العامة جنبا إلى جنب مع الرجل في مكاتب وحجرات مشتركة .

وطغت على السطح مع ذلك معركة مصطنعة مبنية على افتعال صراع بين جنس الرجل وجنس المرأة كمثل ذلك الذي دار على الساحة الأوروبية تبعا لتاريخ المرأة واضطهادها ، فظهرت في مصر جمعيات نسائية تطالب بحقوق المرأة وكأن الإسلام يسلبها حقوقها ويهضمها كرامتها وبدأت هذه الأنشطة بخروج المرأة سافرة في مظاهرات وطنية بقيادة صفية زغلول وهدى شعراوي .

ومثل ذلك كان يحدث في بلاد المسلمين شرقا وغربا وقد تبدى أثره بعمق في معظم البلاد العربية ، وكانت عين الاستشراق لا تغفل عن رصد جميع الظواهر وتطوراتها فتتدخل بطريق مباشر أو بطريق غير مباشر لتوجيه المسار أو تعديله أو

زيادة سرعته وتتجاوب الصحافة والإعلام والمؤلفات والندوات والمؤتمرات أصداء هذا التطور شرقا وغربا لتحصي على المسلمات المدى الذي وصلن إليه في منهج التغريب ، وقد نجح في ذلك إلى حد بعيد ، فقد ألغيت المحاكم الشرعية في كثير من الدول ، وفرضت تشريعا على الطلاق تتناسب مع التقاليد الغربية وكذلك في تعدد الزوجات ، وخرجت المرأة إلى ميادين العمل متبذلة وارتادت المحافل والنوادي في اختلاط مريب ، وهجرت البيوت وسلمت الطفولة إلى بيوت الحضانة المشتركة العامة ، وأنكر على الرجل تحكمه في دخول زوجته وخروجها بإذنه أو بغير إذنه .

وفي كثير من المجتمعات الإسلامية ظهرت فكرة تمجيد النجوم من الرجال والنساء والمقصود بذلك نجوم الفن من الممثلين والممثلات والراقصين والراقصات والمغنيين والمغنيات ، وتبوأ صورة المرأة المتبذلة في ثياب الفتنة والزينة صفحات المجلة الأولى واستحوذت على حيز كبير من الجرائد والمجلات الجادة وغير الجادة في مقالات بعضها علمي وبعضها ترفيهي ، بعضها محتشم وبعضها فاضح .

• ••●•• •

ما دور المرأة المسلمة وما وضعها في المجتمع ؟

سؤال يجيب عليه فضيلة الداعية الإسلامي الكبير فضيلة الشيخ محمد الغزالي - رحمه الله تعالى - في محاضرة له بجامعة قطر بقوله :

أرجو أن نلتفت إلى حقائق أهمها :

❑ **الحقيقة الأولى :**

أن الإسلام دين الجنسين معا فهو للرجال والنساء ، وما في ديننا من عقائد وعبادات وأخلاق ومعاملات تشمل الرجال والنساء شمولاً فيه استغراق ، فالأصل المساواة بين الجنسين فإذا ما كان هناك استثناء فإن هذا الاستثناء لا يخدش القاعدة وإنما كما قيل الاستثناء يؤكد القاعدة ، وفي شمول الدين للرجال والنساء يقول الله تعالى : { **فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض** } آل عمران / ١٩٥ ، إن الأبوين يلتقيان فينجبان البنين والبنات وتتنوع المواهب المادية والأدبية والعقلية والعاطفية على الذكور والإناث دون تفاوت فليس في الإسلام ما يحقر جنسا أو نوعا هنا أو هناك يقول الله تعالى : { **من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون** } النحل / ٩٧ ، وعلى هذا النحو مضت تعاليم الإسلام في اتجاهاتها المختلفة تشرع للجنسين معا دون تفاوت ، فالنساء شقائق الرجال .

❑ **الحقيقة الثانية :**

أن تعاليم الإسلام معروفة المصدر وليس من تعاليم الإسلام تقليد لبيئة من البيئات ولهذا فأنا لا أستمد أحكام الشريعة من طبيعة الأمة العربية ولا من طبيعة المجتمعات الشرقية ولا من طبيعة الحضارة الغربية ، وإنما الذي ينبغي أن نعرفه ما حَكم الله به في هذه القضية على أساس أن الحكم الشرعي في ديننا كما عرف في علم أصول الفقه بأنه : " خطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين " فليس لأحد من البشر أن يحلل أو يحرم .

وقد تعجبت من وجود أحاديث تتسم بالضعف أو أن الاعتراض عليها قوي ومع ذلك فإنها قد ذاعت وقبلها الناس ، فقد روي مثلا في بعض كتب السنة أن النبي

عليه الصلاة والسلام كان مع زوجتين من أمهات المؤمنين ودخل عبد الله بن أم مكتوم فقال لهما النبي : " **احتجبا عنه** " فقالتا : إنه أعمى لا يرانا فقال : " **أفعمياوان أنتما ؟** " ، هذا الحديث شاع وحكم مجتمعات كثيرة مع أن ابن عبد البر – أحد علماء الأمة – نظر فوجد أن الراوي هو نبهان الخادم عند أم سلمة ولا يعرف نبهان بعلم ولا يؤخذ منه دين ، ثم نجد أن ما ضن به النبي -صلى الله عليه وسلم- على اثنتين من أمهات المؤمنين تركه في سعة ومحبة نفس لعائشة فإن عائشة – رضي الله عنها – كانت تحب أن ترى استعراضا عسكريا أو رقصا حبشيا في المسجد فأراها هذا الذي أحبته حتى سئمت و لم يقل لها النبي شيئا ؛ ويروي مسلم في صحيحه أن فاطمة بنت قيس أرادت أن تقضي عدتها فقال لها النبي : " **كوني عند عبد الله بن أم مكتوم تقضين عدتك وتضعين ثيابك** " يقول بن عبد البر : " حديث نبهان مرفوض لأن نبهان مجهول ولا يقبل حديثه ؛ حديث آخر اشتهر يقول إن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال لفاطمة : " **ما أفضل شئ للمرأة ؟** " قالت : " إن أفضل شئ للمرأة ألا ترى أحدا ولا يراها أحد " فضمها إليه وقال : " **ذُرية بعضها من بعض** " وهذا الحديث منكر لا أصل له ومع ذلك فإنه يشيع في الناس وكأنه سنة مروية ؛ حديث آخر يقول : " **لا تعلموا النساء الكتابة ولا تسكنوهن الغرف** " رواه الحاكم في مسنده وكتاب الحاكم كان مسودة ومات – رحمه الله تعالى – قبل أن يبيضها فبقيت أحاديث كثيرة لا أصل لها ، وقد جزم الذهبي في كتاب التذكرة أن هذا الحديث مرفوض ولا أصل له .

تُرى هل نأخذ الأحكام من الأحاديث الموضوعة أو الضعيفة ؟ وما رأيته أنه ما يكاد يجتمع حديثان أحدهما ضعيف والآخر قوي إلا وجدت الحديث الضعيف يرجح والصحيح يُسكت عنه ، فمثلاً في زيارة القبور جاء حديث : " **لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها السرج** " وهذا حديث مهتز السند ، والذي رواه البخاري في صحيحه أن النبي – صلى الله عليه وسلم – كان في المقابر فوجد امرأة يبدو عليها الجزع الشديد وتبكي بحرقة فأراد أن يُصبرها فقالت : " إليك عني إنك لم تُصب بمصيبتي " فلما عرفت أن رسول الله ذهبت إليه تعتذر و لم تجد للبيت بوابا فدخلت فقال لها : " **إنما الصبر عند الصدمة الأولى** " ولو كان ذهابها لزيارة القبور حراما ما حجب عنها حكما شرعيا ، لكن حديث البخاري سُكت عنه " ولعن الله زائرات القبور " انتشر ؛ وحديث عبد الله بن عمر وهو يحدث عن النبي

- صلى الله عليه وسلم - : " **لا تمنعوا إماء الله مساجد الله** " ، الحديث صحيح باتفاق فقال له ابنه : " والله لنمنعهن " فأقبل عليه أبوه يسبه سبا لم يسمع مثله قبل وقال له : " أقول لك قال رسول الله ثم ترد على رسول الله ؟ " ، ولكن الذي مضى كلام الولد الذي اعترض كلام الرسول عليه السلام وعشرات الألوف من المساجد في البلاد الإسلامية لا يذهب إليها إلا الرجال ، ومعروف أن العرب في طبيعتهم الأولى كانوا يضيقون بالمرأة ، وقال أعرابي حين بُشر بالأنثى : " والله ما هي بنعم الولد نصرها بُكاء وبرها سرقة " ، مع أن المرأة إذا دُربت تدربت ولقد قامت نسوة مع رسول الله في المعارك ولم يقل شيئا ولم يمنعهن ولكن اطمأن إلى أنهن صاحبات غرض شريف ونية سليمة وأعطاهن بعض الهدايا حين انتهت المعركة .

وفي بيعة العقبة كان هناك نساء ولم يقع هذا في بلاد كثيرة في الأمة الإسلامية ، وعندما تمت معاهدة الحديبية وأخذ المسلمون على أنفسهم عهدا أن يردوا كل خارج من مكة ذاهب إلى المدينة نجد أن الله - سبحانه وتعالى - استثنى النساء ونزلت الآية الكريمة : { **يأيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن** } الممتحنة / ١٠ ، فكانت المرأة تُمتحن أكان خروجها لغرض شريف أم لا ، فكان عمر يستحلفهن بالله ما خرجت لكذا ؟ ما خرجت لكذا ؟ والإجابة تكشف حقيقتها أَخْذْ وَرَدْ وفي الامتحان اعتراف بأن المرأة لها الحق في أن تترك مجتمعا وتذهب إلى مجتمع آخر ولها الحق في أن تبقى مستقلة بشخصيتها هذه ؛ وقد طلب من المجتمع الإسلامي إزاء هذا أن يمسك بعصم الكوافر .

ومن غرابة عقل المسلم في هذه الأيام أن يقول لنا قائل : صوت المرأة عورة ، كيف كانت تمتحن هذه والله - سبحانه وتعالى - يقول لأمهات المؤمنين : { **وإذا سألتموهن متاعا فسألوهن من وراء حجاب** } الأحزاب / ٥٣ ، وكانت أمهات المؤمنين يُسألن ويُجبن ؛ يحكي كتاب السير أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يصلي بالناس في مسجده فخرجت ابنته زينب وقالت : " إني أَجَرْتُ العاص " [زوجها في الجاهلية] وكان قد أُسر مع المشركين - فقال النبي : " **إن شئتم أن تهبوا لها أسيرها** " فوهبوا لها الأسير ؛ وتحدثت المرأة التي جاءت تجادل رسول الله وحكى القرآن الكريم جدالها في قوله تعالى : { **قد سمع الله قول التي تجادلك في**

زوجها وتشتكي إلى الله } المجادلة / ١ ، صحيح أن التكسر في الكلام لا يجوز في النساء ولا في الرجال .
لقد ذهب النبي -صلى الله عليه وسلم - إلى مسجده ونظر إلى النساء وهن يدخلن مع الرجال من الأبواب فمن باب توفير العبودية لله وحده وحسم بواعث الشهوة نظر إلى باب من أبواب المسجد وقال : **" لو جعل هذا للنساء ؟ "** فجُعل هذا الباب للنساء وسمي " باب النساء " ؛ وفي الصحيح أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان من عادته أن يطيل في صلاة الفجر وأنه تجوز فصلى بالمعوذتين لأنه سمع بكاء طفل مع أمه وخشي أن ينشغل عنه قلبها في الصلاة .
بعض الناس يقول أن المجتمع قديما كان فيه طهر وعفة وخلق والآن المجتمع تغير ، هذا الكلام باطل والمجتمعات هي المجتمعات ومن باب تأديب الرجال والنساء جميعا روى مسلم في صحيحه أن النبي- صلى الله عليه وسلم- قال : **" خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها "** والآن أمكن عمل صندرة للنساء في بعض المساجد .
لماذا حرص الإسلام على أن تصلي النساء في المسجد ؟ وزاد حرصه في صلاة العيد عندما قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : **" من لا جلباب لها تستعير جلباباً من جارتها وتخرج الحيض إلى المصلى ليشهدن الخير "** ؛ المسجد هو الذي ربى الرجال والنساء وكان التنظيم هو الرجال في الصفوف الأولى والنساء في الصفوف الخلفية والأولاد في الصفوف الوسطى معنى هذا أن تكون الأسرة كلها في المسجد للتعلم ،وعندما حصرت المرأة في البيت تخلفت عقليا وتخلفت ماديا فاختل توازن المجتمع الإسلامي لأن المرأة تكسب من رقيها العقلي والخلقي في نفوس أولادها مما يجعل هؤلاء الأولاد يشبون على دين الله وعلى خلق الاسلام ، أما الآن فإن الأسرة المسلمة تلتقي لقاء حيوانيا — الطعام والجنس — لكن خلق المسلم والمناقشات التربوية والمستويات المتقاربة في الأخلاق والآداب والحكم على الأمور غير معروف في الأمة الإسلامية حديثاً لأن المرأة كُتب عليها الجهل وهذا شئ لا يقره الاسلام ، وفي مذهب أبو حنيفة أن المرأة يجوز أن تباشر عقد زواجها بنفسها اعتمادا على الحديث الشريف أن فتاة جاءت للنبي - صلى الله عليه وسلم — تقول له : " إن أبي زوجني من ابن أخيه ليرفع بي خسيسته وأنا له كارهة " فقال لها عليه السلام : **" الأمر إليك فإن شئت أمضيت وإن شئت فسخت العقد "** فقالت : "

أمضيت العقد ولكني أردت أن أعلم الفتيات أن ليس للآباء في أمر بناتهن شئ ، وغير الأحناف اعتمد على حديث : " **أيما امرأة أنكحت نفسها فنكاحها باطل باطل باطل** " رواه الترمذي وابن ماجه وابن حنبل ؛ وعلى طريق الموازنة بين المذاهب يمكن أن نخرج بأن الفتاة لا يتم عقدها كرها ويمكن أن تكون الارادة شركة بين الآباء وبناتهن ، وعلى كل فإن المذاهب إذا اختلفت في ذلك فإنها لم تختلف في أن المرأة تصلي الصلوات الخمس والجمعة في المسجد وعن أسماء – رضي الله عنها – قالت : " ما أخذت سورة ق إلا من فم النبي - صلى الله عليه وسلم – يخطب بها في صلاة الجمعة " .

والرؤية تكون في حدود الاحتشام والاسلام له أدب محدد وهو غض البصر فالاسلام يرفض أن تكون المرأة حبيسة البيت كما يرفض أن تكون طريدة الشارع ، واطلاق المرأة في الشارع على النحو المعروف في أوروبا لا يمكن أن تقبله مسيحية ولا اسلام وقد سمعت من صديق كان يعيش في انجلترا قال : " إن امرأة عجوز سمعت بأن الأب المسلم ينفق على ابنته مهما عاشت في البيت فقالت : ليت هذه الاحكام عندنا لأن تكليف البنت بأن تخرج بعد البلوغ لترتزق هو الذي سبب الانهيار في بلادنا " ؛ وتونبي المؤرخ الانجليزي المعروف قال : " لقد درست ٢٣ مدنية وعرفت بأن أسباب الانهيار في كل هذه المدنيات خروج المرأة وأرى أن انهياراً يَبيت لحضارتنا وأن جراثيم تسللت لكياننا بسبب خروج المرأة من البيت وانطلاقها في الشارع وانهيار كيان الأسرة " ؛ وخطباء المساجد كانوا يخطبون للرجال والنساء جميعا بأن الاسلام يرفض الخروج للإثارة ، ولكنه لا يرفضه للجهاد أو العلم أو العبادة والبخاري يروي أن النبي - صلى الله عليه وسلم – أقر بوجود نسوة في الجيش يقاتلن جنبا إلى جنب مع الرجال أو يهيئن الطعام أو يكفن الموتى أو يداوين الجرحى ، ويروي البخاري في صحيحه أيضا أن أم الدرداء عادت رجلا كان في المسجد مريضا وأن امرأة بلغت من صلابة موقفها عندما حاول المشركون قتل رسول الله في أحد كانت من بين الذين اعترضوا طريقهم ؛ وفي غزوة حنين نجد إحدى النساء كان معها خنجر وكانت تقاتل عن رسول الله ، ولما فر الطلقاء قالت للرسول بعد المعركة : " اقتل الطلقاء فروا جميعا " فقال : " **إن الله أغنى** " فالمرأة خرجت على أساس أن جسدها كله مستور ماعدا الوجه واليدين .

وكان النبي - صلى الله عليه وسلم – عند بنت ملحان فنام ورأى رؤيا واستيقظ مبتسما فقالت : " ما أضحكك يا رسول الله ؟ ، قال لها إنه رأى أناسا يجاهدون في سبيل الله يركبون ثبج البحر ، فقالت : يا رسول الله ادعو الله أن يجعلني منهم ، فقال : أنت منهم ، كانت أم حرام زوجة عبيد بن الصامت ذهبت في الجيش الذاهب لمحاصرة القسطنطينية عن طريق الالتفاف باحتلال جزيرة قبرص والقفز إلى الأناضول ماتت ودفنت هناك ويُعرف قبرها إلى الآن بقبر المرأة الصالحة ، و لم يقل لها عليه السلام : اجلسي في بيتك .

هناك شبهة أثارها أعداء الإسلام وبنوا عليها أن الإسلام ظلم المرأة ، ويستشهدون على ذلك بأن الإسلام أعطى المرأة نصف ما أعطى الرجل وذلك صحيح في بعض الأنواع لأن الرجل مكلف بالانفاق على البيت ولو كانت الزوجة غنية ويحبس الرجل في النفقة إذا لم يؤد ما عليه بينما لا تكلف المرأة بنفقة أو مهر ، فالواقع أن ما أخذه الرجل دفعه وما أخذته المرأة بقي لها ، وحين أوجب الإسلام النفقة على الرجل فإنه أراد صيانة المجتمع فالمرأة لا تكلف بالكسب وبذلك لا تكون عرضة للذئاب البشرية .

وهناك أيضا تساؤل لماذا كانت شهادة المرأة على النصف من شهادة الرجل ؟

والجواب : أن شهادة المرأة قد تكون مساوية لشهادة الرجل في الأمور النسائية لأن ثبت أن المرأة لا تكون في ظروفها الطبيعية دائما ، وفي كتاب الزواج الأبدي لمؤلفه " فان ديك " الذي حصل على جائزة نوبل قال : " قدروا حالة المرأة في أثناء الدورة الشهرية فإنها تكون منحرفة المزاج وتكون أجهزتها الداخلية – حتى أجهزة الهضم – غير مؤدية لوظيفتها بطاقتها الطبيعية وأنها قد تصاب بعمى الألوان وأداؤها لعملها يكون فيه ضعف " ، والاسلام يحتاط للشهادة وفي ذلك ضمان للحقوق .

وهناك حديث يُذكر بكثرة : " **النساء ناقصات عقل ودين** " وهذا الحديث يفسره حديث آخر : " **كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا القليل** " والمعنى أن الرجال أقدر على القيادات العسكرية والسياسية والعلمية من النساء لأن طبيعة الخلقة تجعل شيئا من النقص في العموم لا في كل فرد ، يعني قد يُقال : إن مجتمع الصحابة أفضل من الذي يليه إجمالاً ولا يمنع أن يكون في المجتمع الذي يليه من هو أفقه منه في مجتمع الصحابة ، ولذلك يقول النبي - صلى الله عليه وسلم - : " رُب

مبلغ أوعى من سامع " ويقول : " **رُب حامل فقه إلى من هو أفقه منه** " ، وهناك نساء أفقه من رجال بليغين ولكن المجموع في الرجال أقدر وذلك لأن ما في الكون من أعباء شديدة يحملها منكب شديد وهذا هو الذي جعل رئاسة البيت للرجل وليس للمرأة يقول الله تعالى : { **ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف** } البقرة / ٢٢٨ ؛ ومعنى نقصان الدين النقصان في التكاليف فقط ونحن نُقدر أن المجتمع ما يقوم إلا بمستويات رفيعة من النساء علميا وأدبيا وخلقيا ولذلك ينبغي أن يُفتح المجال بسماحة وقدرة أمام النساء ليبلغن في مراحل التعليم أقصاها وليدركن كل ما يمكن أن تبلغه عبقرية منهن ، وهذا نؤكده في وجه أُناس لا يفهمون الإسلام ولا يُحسنون فقهه ولا العمل به ولا نصرته في ميادين الحياة بين الاختلاط الماجن الذي يوجد في الخارج وبين العزلة الشديدة المضروبة على المرأة في بعض البلاد ، ويمكن أن نتصور نوعا من التعاون العلمي أو وجود نائبات في مجلس الشورى أو أعمال علمية يكلف بها النساء لكن وضع هذا في معالم لا يمكن لأحد أن يقوم بها وإنما اقترح أن يقوم بذلك عدد من النساء الفُضليات والرجال العقلاء وعمل شئ لخدمة المجتمع الإسلامي بالتعاون الممكن في وجود الفقه الإسلامي والتعاون الذي يطلبه الدين وفي حدود الحشمة التي قررها الإسلام .

- **المرأة المسلمة المعاصرة إلى أين ؟**

هذا سؤال يجيب عليه الأستاذ الكتور صلاح الدين جوهر عميد كلية التربية بجامعة قطر سابقا في كتابه " المرأة المسلمة المعاصرة إلى أين " فيقول :

إن قضية المرأة هي قضية كل مجتمع في القرن العشرين ، فالمرأة تشكل نصف المجتمع من حيث العدد وأجمل ما في المجتمع من حيث العواطف وأعقدها في المجتمع من حيث المشكلات ، لقد أثرت الدعاية الغربية تأثيرا كبيرا فيما يتعلق بالمرأة حيث تبلبلت آراؤنا وتشتت أهواؤنا وأصبح منا من يوصف بأنه صديق للمرأة ومنا من يُتهم بأنه عدو للمرأة .

إننا لا يمكن أن نتصور أن يكون الرجل عدوا للمرأة ولا أن تكون المرأة عدوة للرجل فهذا يخالف نواميس الطبيعة والفطرة ، وغاية ما نقوله في هذا الشأن أن

الرجل قد يكره في المرأة أموراً وكذلك المرأة قد تكره في الرجل أمورا أما أن يعادي أحدهما الآخر فهذه مغالطة مكشوفة مُغرضة .

لعل مصدر الجمال في الانسان الذي أراده الله تعالى أن يخلقه في الأرض يمكن أن يكون في التباين الواضح بين صنفي الرجل والمرأة وهذا هو الجمال بالنسبة للإنسان ، فلو شاء الله تعالى لخلق الناس ذكورا أو إناثا إذن لما بدا هذا الجمال الذي يملأ حياتنا بهجة وسرورا ؛ إنه لمما يسعد الرجل أن يرى المرأة فيها شئ مختلف يجذبه كذلك أن ترى المرأة في الرجل شيئا مختلفا يجذبها إليه حتى لا يمل أحدهما الآخر ، إن المرأة الريفية والبدوية ما زالت على طبيعتها تنشط إلى عملها وتصل صباحها بمسائها في شغل البيت والمزرعة والسوق ، لا تتسفل إلى ما يشين آدابها أو يحط من مترلتها فيها قسط وافر من الذكاء الفطري إلا أنها غرة جاهلة لا تقرأ غالبا ولا تكتب وهذا أكبر عيوبها .

- **من المرأة المسلمة ؟**

المرأة المسلمة هي المرأة المتحضرة المتعلمة وهي بهذه الصفات تعتبر دون نساء العالم في محنتها ، وهي بحق تحتاج إلى معونة صادقة تعيدها إلى السكينة والهدوء والرضا ؛ وسبب هذه المحنة أنها في مفترق الطرق بين حب الحجاب وحب السفور والخروج عن المألوف ، إنها في مفترق الطرق بين السلبية واللامبالاة وبين الإيجابية والجرأة العدوانية إنها في مفترق الطرق بين الرضا والقناعة والسخط والتمرد ، إنها في مفترق الطرق بين حنو الأنوثة وخشونة الرجولة الطاغية بين الخضوع والطاعة والتمرد والعصيان بين الحياء والجرأة الوقحة ، إنها في مفترق الطرق بين كونها الإنسان المغلوب على أمرها وكونها الإنسان المتحكم المتسلط متشعب الأطماع لذلك فإنها تتعذب ويتعذب بسببها كل من يتعامل معها عن قرب من الرجال .

• ••●•• •

المرأة المسلمة في الصحف

لقد تتبعت من خلال الصحف والمجلات أخبار المرأة المسلمة وقد لاحظت الآتي :

- ✖ المرأة المسلمة المعاصرة لم تعد معزولة عن العالم كله بفضل وسائل الإعلام .
- ✖ النساء المسلمات المعاصرات لسن في مرحلة التطور من منظور التحرر.
- ✖ المرأة المسلمة المعاصرة تبدأ مشوار التحرر بالصراخ والضجر ثم تنتقل إلى مرحلة طلب النجدة والمعاونة حتى تصل في النهاية إلى قلب الأدوار والتحلل من خصائصها الأنثوية .
- ✖ المرأة المسلمة المعاصرة تبدأ قصة اشتغالها خارج المترل باقناع الرجل أنها تبغي تدعيم الكيان الاقتصادي للأسرة وعندما تكتشف أنها بذلك تخلق أعباء اقتصادية جديدة يكون قد أصبح من العسير عليها نفسيا أن تتراجع ، ومرحلة التحرر شاقة ومكلفة على عكس تصورها ولكنها تخشى التردد والتراجع .
- ✖ المرأة المسلمة التي تحررت تحاول أن تجذب معها أختها التي مازالت في البيت بكل الوسائل .
- ✖ المرأة المسلمة المعاصرة تعتقد أن ما وصلت إليه المرأة الغربية هو التقدم وهي تجري وراءها محاولة اللحاق بها .
- ✖ المرأة المسلمة المعاصرة في طريق التحرر لا تعرف سوى طريق الرجل والتساوي به .
- ✖ التشريعات والتطبيقات قد أصبحت أداة المرأة المسلمة المعاصرة في بلوغ أهدافها .
- ✖ التنظيمات النسائية الإسلامية أصبح لها اتصالات وانتماءات ذات صفة دولية .
- ✖ المرأة المسلمة المعاصرة أصبحت تتحرك في فلك منظم صنعته لها التنظيمات النسائية العالمية والاقليمية ، ولكن الرجل المسلم لا يعرف شيئا عن هذا وربما بعض النساء المسلمات لا يدرين عن ذلك شيئا .
- ✖ التعليم بمحتواه وأساليبه الحالية هو الذي خلق المرأة المعاصرة وشكلها .

- ✖ تعليم المرأة نفس ما يتعلمه الرجل وجلوسها بجواره في معاهد التعليم وتفوقها عليه أحيانا ساعد على تقوية إحساسها بالتساوي بالرجل .
- ✖ المرأة المسلمة المعاصرة تحت تأثير المخالطة المكثفة بالرجال- في مجالسهم ومعيشتهم في ظروف متقاربة لتلك التي يعيش فيها الرجال- قد أكسبها عادات سلوكية ولغوية كانت قاصرة على الرجال حتى وقت قريب .
- ✖ سبيل المرأة المسلمة المعاصرة في معركة التحرر هو نفس سبيل الأقليات ذات التأثير في المجتمعات الغربية : التنظيم والتشريع ومحاولة الوصول إلى مراكز السلطة ، والوصول عن طريقها إلى الأهداف المنشودة .
- ✖ ضريبة اشتغال المرأة خارج المترل ضريبة متنوعة ولكن أسوءها ما يتحمله الأطفال الصغار .
- ✖ حركة تحرير المرأة عالميا بدأت بأن شدت المرأة خارج بيتها من أجل العمل ثم تطورت حتى أصبحت تطالب المرأة بالخيار بين أن يكون لها بيت أو أن يكون لها عمل خارج البيت .
- ✖ هناك اتجاه جديد تسير فيه وسائل الإعلام في البلاد الإسلامية التي تناصر حقوق المرأة عن طريق تشويه الرجل المسلم وتجسيم عيوبه .

- **دور الصحافة في حركة المرأة المسلمة المعاصرة :**

الصحافة وسيلة من وسائل الاتصال بين جماعات كبيرة من الناس والاتصال هو حجر الزاوية في بناء المجتمع الانساني ، والاتصال يؤدي وظائف عديدة في المجتمع الانساني منها وظيفة التوجيه ووظيفة التثقيف ووظيفة التعارف الاجتماعي .

والصحافة النسائية قد أخذت على عاتقها تثقيف النساء بمعنى تزويدهن بمعارف جديدة تخص النساء أكثر من غيرهن وبفضل الصحافة النسائية ازدادت فرص التقارب بين القطاعات النسائية المختلفة في التفكير والمشاعر والأماني ؛ وقد اتضح أن الصحافة تنظر إلى المرأة كأنثى أولا بغض النظر عن المواقع التي تشغلها كما اتضح أن الصحافة تركز على الجوانب السلبية للمرأة ، وبذلك أفقدت الصحافة المرأة ثقتها بنفسها كما أنها ركزت على الصورة العاطفية للمرأة المسلمة أكثر من العقلانية ، نعم لقد استطاعت الصحافة النسائية أن توجد قنوات اتصال بين المرأة

في العالم الإسلامي وبين المرأة في العالم الغربي وبذلك أصبح وقع خطواتها واتجاه سيرها بسير غيرها في الدول الأخرى ؛ وما أحوج الرجل المسلم المتعلم إلى مثل هذا الوعي والتناسق والتنظيم حتى تكون النهاية عادلة في الحقوق والواجبات والالتزام الاجتماعي والأسري بين الرجل والمرأة ولكي لا يموت أحدهما من الهم والحسرة ؛ وقد حصلت المرأة في بعض الدول على حق الانتخاب أو إقامة تنظيمات نسائية والإكثار من اللقاءات الدولية وسبب ذلك :-

١) سهولة الاتصال بين التجمعات النسائية في الدول المختلفة نتيجة لسهولة الاتصال .

٢) الجهود التنظيمية التي تبذلها نساء العالم وتنسقها لتحقيق الأهداف المقصودة .

٣) نجاح العديد من النساء العاملات في الحركات النسائية بالدول النامية في الوصول إلى المناصب القيادية وبالتالي أصبح في مقدورهن التأثير على الرجال والقادة .

٤) تغير الأوضاع الاقتصادية في بعض الدول أتاح للمرأة أن تحظى بفرص التعلم والعمل .

- **أهداف التنظيمات النسائية :**

يلاحظ أن المرأة واضحة عندما تتكلم عن أهداف تنظيماتها ، فقد عُقد مؤتمر في دمشق شارك فيه ٢٦ وفدا من الدول الإسلامية وعدد من حركات التحرر وانتهى إلى عدة توصيات منها :-

١) ضرورة تعديل القوانين بما يتلاءم مع مصلحة المرأة والسعي لتحريرها اقتصاديا .

٢) التنسيق مع التنظيمات الشعبية المختلفة لإتاحة الفرصة أمام المرأة لتمثيلها في القيادة .

والتربية المعاصرة مسؤولة عما أصاب المرأة المعاصرة من متاعب فقد عمقت في الأنثى منذ صغرها مشاعر النقص وفقدان الثقة وخلقت فيها التمرد على كل شئ حتى طبيعتها الأنثوية ، ثم جاءت التربية المترلية المعاصرة لتطلق العنان لهذه المشاعر لكي تعبر عن نفسها على المكشوف حتى وجدنا المرأة تقلد الرجل في ملبسه وفي سلوكه ، حتى خرجت علينا حفنة من النساء العصريات ينادين بأن الحمل والولادة لا ينبغي أن يعوق المرأة عن تحقيق ذاتها ؛ وأخيرا وجدنا علماء النفس يطالبون

بتفريد التعليم لأن المرأة لها دور في المترل كزوجة وأم فهي لذلك تحتاج إلى تعلم أشياء لا يحتاج إليها الرجل ، وفي ذلك تقول السيدة أسماء فهمي : " إننا نظلم كلا من الفتى والفتاة عندما نعطيهما نفس المحتوى من التعليم " .

- **العمل هل يحرر المرأة ؟**

العمل بالنسبة لعدد كبير من النساء أصبح يمثل حاجة اقتصادية وبالنسبة لأخريات أصبح يمثل نوعا من الترويح عن النفس ، وهناك أعمال تناسب المرأة وأعمال لا تناسبها ، وقد وُجد في احصاء وزارة العمل الأمريكية عام ١٩٧٤ م أن الوظائف التي تجذب المرأة الأمريكية هي التي تدور حول العناية بالأطفال وبالأسرة بطريقة أو بأخرى ، وفي اليابان نجد أن ربات البيوت أكثر من النساء العملات .

- **وظائف الأسرة الفطرية :**

تتلخص وظائف الأسرة الفطرية في :

- وظيفة حفظ النوع عن طريق الزواج يقوم بها كل من الرجل والمرأة ، ولكل منهما وظيفته التي فطرها الله عليها ولكن حواء الغربية رأت أن تخرج من هذا الالتحام مع آدم هربا من المسؤولية .
- وظيفة التنشئة الاجتماعية : وهذه الوظيفة أصابها الكثير من التعديل والتبديل .
- وظيفة الضبط الاجتماعي ، ونظرا لانشغال الأب والأم فقد افتقد الأبناء التوعية والتوجيه وزادت الانحرافات ، وفي الغرب بدأ اختلاط الأدوار بين الرجل والمرأة ومن ذلك :

١- تمرد المرأة على وظيفتها الأساسية والبعد عنها وبروز عقدة الاستقلال .

٢- ترويض الرجال على مزاولة أدوار النساء كإجازات الوضع في السويد .

٣- حرمان الرجل من دور رب العائلة وقد بدأت النمسا في اصدار قانون بذلك .

٤- انكار الأمومة وقد بدأ ذلك في فرنسا .

٥- التفسخ والتحلل وقد بدأ بعض الناس في التكلم عن إمكانية ولادة الرجل .

• حواء المعاصرة :

إن حواء المعاصرة تلاقي أنواعا من المتاعب والأمراض ولكنها لا تعترف بها فهي تعاني من ارتفاع التوتر والأمراض النفسية والاكتئاب ثم الاحباط والملل وزيادة الاصابة بأمراض القلب وبعض الأمراض الأخرى كما جاء في احصاء جاء به معهد الصحة النفسية ومدير دار الاستشفاء للصحة النفسية في أمريكا وبعض أساتذة الصحة النفسية ؛ وأخيرا العنف والاتجاه إليه كما جاء في كثير من الدراسات الاجتماعية الغربية .

نعم إن خروج المرأة إلى العمل خارج المترل كان له ضرائب باهظة منها أن الأطفال الصغار يلاقون متاعب كثيرة أهمها عدم إشباع حاجاتهم النفسية والعاطفية وفي ذلك ما فيه من الخطورة عليهم في مستقبل الأيام ؛ والغرب يسعى دائما إلى جر المرأة المسلمة إلى خارج البيت ، تُرى لماذا هذا الإصرار ؟

ذلك السؤال يجيب عليه اليهودي مروبرجر الذي يقول في كتابه " العالم العربي اليوم " : " إن المرأة المسلمة المتعلمة هي أبعد أفراد المجتمع عن تعاليم الدين وأقدر أفراد المجتمع على جره كله بعيدا عن الدين " ، وتقف الماسونية – التي هي خلية يهودية – وراء كثير من التنظيمات التي تشجع على الانحلال الخلقي المشين والاسلام برئ من حبس المرأة بين جدران أربعة حتى تنتقل إلى قبرها ، والاسلام برئ أيضا من مزاحمة المرأة للرجل وهي كاسية عارية .

الإسلام يريد تكريم المرأة والبعد بها عن مواطن الشبهات وعن كل ما يقلل من نقائها أو يخدش حياءها ، إن الحجاب بمعناه المعاصر والمقبول هو أن تَحجُبَ المرأة عن الرجل من شخصيتها ما يغريه أو يثير غريزته سواء أكان ذلك باللباس أو بالحركات والأفعال ؛ إن المرأة المسلمة لها دور في الحياة لذلك فإننا ينبغي أن نعدها له وأن نعطي لها من التعاليم ما يتلاءم مع وظيفتها الطبيعية ؛ والمرأة المسلمة ينبغي أن تأخذ خطواتها من دينها من الكتاب والسنة فإذا وجدت أمورا جديدة فلا بد من عرضها على الإسلام ، فما وافق الإسلام أخذته وما عارض الإسلام تركته ولذلك فإنه ينبغي أن تكون شخصيتها قوية لا تتأثر بالكلمات التي يُقال عنها أنها تقدمية وحضارية ومدنية وما إلى ذلك .

• ○○●○○ •

المساواة بين الرجل والمرأة في الحياة الغربية المعاصرة حقيقة أم وهم ؟

سؤال يجيب عليه علي القاضي في كتابه "وظيفة المرأة في المجتمع الإسلامي"فيقول : المساواة بين الرجل والمرأة كلمة خادعة أعطت الرجل فرصة ليتحلل من تبعاته الاقتصادية نحو المرأة ونحو الأسرة ، ومن جانب المرأة أعطتها فرصة للتحلل من قيود الأسرة ؛ وفي ظل وسائل الدعاية والاعلام أصبح الغرب كله والشرق المتأثر بالغرب ينظر هذه النظرة ويؤمن بهذه الفكرة على أنها نموذج حضاري وترتب على هذا أشياء كانت سببا في تدهور الصحة النفسية والجسمية والعقلية للفرد والمجتمع على السواء .

تقول الكاتبة الانجليزية الليدي كوك : " إن الاختلاط يألفه الشباب ولهذا طمعت المرأة بما يخالف فطرتها وعلى قدر الاختلاط يكون أولاد الزنا وهذا بلاء عظيم على المرأة " ، ثم تطالب الكاتبة بتبصر المرأة بخطر الطريق الذي تسير فيه ؛ ويقول شوبنهور الألماني : " قل هو الخلل العظيم في ترتيب أحوالنا الذي دعا المرأة إلى مشاركة الرجل في علو مجده وباذخ رفعته وسهل عليها التغالي في مطامعها حتى أفسدتها المدنية الحديثة " ؛ والدكتورة مارين هيليارد أستاذ علم النفس التي قضت أكثر من أربعين عاما في دراسة سيكلوجية المرأة والرجل معا تقول : " المرأة أضعف من الرجل وأكثر تأثرا وحماسة وهي لذلك دائما مُتعطشة للتقدير – تقدير دورها كزوجة وكأم – فكم من امرأة ضحت بعملها الذي تُرزق منه قبل الزواج من أجل بيتها وأسرتها ، وكم من امرأة بقيت وحدها ترقب زوجها وهو يصعد سلم النجاح على حساب سعادتها وراحتها " .

- **تخلخل الأسرة :**

وعمل المرأة مع الرجل ينشأ عنه تخلخل الأسرة يقول ساموبل سمايلز الانجليزي : " إن النظام الذي يقضي بتشغيل المرأة في المعامل مهما نشأ عنه من ثروة في البلاد فإن نتيجته تكون هادمة لبناء الحياة المنزلية لأنه هاجم هيكل الأسرة وقوض أركان المنزل وفرق الروابط الاجتماعية ، إنه يسلب الزوجة من زوجها والأولاد من أقاربهم وصار لا نتيجة له إلا إفساد اخلاق المرأة إذ إن وظيفة

المرأة الحقيقية هي القيام بالواجبات المترلية مثل ترتيب مسكنها وتربية أولادها والاقتصاد في وسائل معيشتها مع القيام بالاحتياجات البيئية ، ولكن المعامل سلختها من كل هذه الواجبات بحيث أصبحت المنازل غير المنازل وأصبح الأولاد يشبون على عدم التربية ويُلقون في زوايا الإهمال وأُطفئت المحبة الزوجية وخرجت المرأة عن كونها الزوجة الظريفة والقرينة النجيبة للرجل وصارت زميلة في العمل والمشاق وباتت معرضة للتأثيرات التي تمحو غالبا التواضع الفكري والأخلاقي " ونتيجة لإهمال الحضارة الغربية لعلاقة الرجل بالمرأة واعتبارها جنسية فقط لم يعد عندهم أي ترابط في داخل الأسرة من أي نوع حتى بين الآباء والأبناء وبذلك ضعفت العلاقة بين الناس جميعا ، وقد وصل الأمر في بعض البلاد الغربية إلى أن يعلنوا من يموت بالاذاعة — إذا كان له أقارب ليحضروا جنازته — ثم لا يحضر إلا القسيس وعامل الدفن الموظف الذي يؤدي وظيفته .

وما أكثر المؤتمرات التي تنعقد للبحث عن حقوق المرأة والتي تنتهي إلى لا شئ ،لقد وضعوا المرأة بعيدا عن وضعها الطبيعي وأصبحوا يفكرون في حل المشكلات التي نجمت عن هذا الوضع ومنها مؤتمر برلين الذي عقد عام ١٩٧٨ م وحضره مندوبون ومندوبات لثماني دول وكان ثلث الحاضرين من الرجال ، تقول مجلة نيويورك تايمز : " انتهى المؤتمر باتساع هوة الخلاف وانعقد أصلا للتقريب بين وجهات النظر ، فريق يطالب للمرأة بحقوق أكثر على رأسها أن تحصل الزوجات من الأزواج أو من الدولة على جزاء مادي لقاء رعاية الأطفال والعناية بالبيت ، وفريق يطالب الرجال والدولة للقيام بأي شئ يخفف عن المرأة هذه الواجبات حتى تتاح لها فرصة أن تحيا حياة شبيهة بحياة الرجل بقدر الامكان ، وكان الفريقان يدافعان عن المرأة ولكنهما لم يتفقا على زاوية الدفاع ولا على ماينبغي أن تحصل عليه ، وقد طالبت إحدى المندوبات بضرورة دفع أجر للمرأة لقاء قيامها بالعمل في بيتها على أساس أنه لا عمل بدون أجر وإلا أصبح نوعا من السُخرة ورد أحد الرجال قائلا : ماذا إذا قام الرجل بهذا العمل هل يدفع لنفسه ؟ " .

- **هل المرأة الغربية سعيدة بهذا ؟**

تقول الكاتبة الانجليزية الشهيرة آنا رورد في مقالة نشرتها الاستون ميل الانجليزية : " لأن تشتغل بناتنا خادمات أو كالخادمات خير وأخف بلاء من اشتغالهن في المعامل حيث تصبح البنت ملوثة بأدران تذهب برونق حياتها إلى الأبد " ، ثم هتفت في حسرة : " ألا ليت بلادنا كبلاد المسلمين فيها الحشمة والعفاف ، إنه عار على بلاد الانجليز أن يجعلوا بناتنا مثلا للرذائل بكثرة مخالطة الرجال ، فما لنا لا نسعى وراء ما يجعل البنت تعمل بما يوافق فطرتها الطبيعية من القيام في البيوت وترك أعمال الرجال للرجال سلامة لشرفها وحفاظا على أنوثتها " .

• • • • • • •

هموم المرأة العاملة في الغرب

وبعد مضي فترات طويلة على عمل المرأة في الغرب بدأت الصحف في نشر أخبار عن هموم المرأة في الغرب :-

- **لا مساواة لا عدالة لا تكافؤ :**

هذه صرخة المرأة في المجتمعات الغربية كما جاء في الدراسة التي نشرتها صحيفة العرب القطرية في ١١/ ٦/١٩٨٠ وقالت : " إن الكونجرس الأمريكي ليس به إلا ١٧ امرأة وواحدة في مجلس الشيوخ ، وفي فرنسا ١٨ نائبة من أصل ٤٩١ ، وفي سويسرا ثلث النساء حرمن من التصويت ؛ وفي أمريكا لا تتمتع المرأة في جميع الولايات بمساواتها مع الرجل حتى من الناحية الشكلية ، وهذا الحكم أطلقته اللجنة الأمريكية للحقوق المدنية ومن ذلك أن أجر المرأة في عام ١٩٥٩م كان ٦٣,٩% من أجر الرجل الحاصل على نفس المؤهل وفي عام ١٩٧٨م انخفض إلى ٥٨,٩% ، وفي فرنسا يصل الفرق إلى ٣٣% وفي اليابان يصل إلى ٤٠% ، وفي أمريكا لا تشغل المرأة سوى ٥% من الوظائف المنتخبة وبصورة أساسية في هيئات السلطات المحلية إذ يبلغ عدد النساء حوالي ٥٩,٣% من السكان و ٥٣,١% من الناخبين ، ومن أصل ٥٥٤٧ مقعدا في برلمان السوق المشتركة التسعة يوجد ٢٧ نائبا أي أقل من ٦% من البرلمانيين ؛ والبرلمان الياباني ليس به إلا ٣% من النساء ؛ وإلى جانب ذلك فإن الأرقام تقول إنه من بين ٤٤ مهنة وعمل ووظيفة فإن المرأة تعمل في ٢٠ نوعا فقط وإن النساء اللاتي يمكن القول بأنهن وصلن إلى مراكز مرموقة لا يزدن عن ٢,٣% والمعيار هنا هو ألا يقل المرتب عن ١٥ ألف دولار .

- **قضايا غريبة أخرى :**

وتستمر الدراسة قائلة إن قضايا ضرب الزوجات وإساءة معاملتهن أصبحت تمثل المكان الأول في قضايا الطلاق وبلاغات الشرطة فضلا عن أن الزوجة تستمد خصها الاقتصادي من زوجها بمعنى أنه بمجرد طلاقها تفقد وضعها في أن يكون لها وضع اقتصادي يسمح لها أن تبتاع بالتقسيط وهي قضية أساسية في أمريكا بالإضافة إلى أن عمل الزوجة وبخاصة في الريف لا يُعتبر عملاً انتاجيا اقتصاديا إذ يخضع نصيبها في الميراث لضريبة التركات بعكس زوجها

المُعترف بدوره الانتاجي فميراثه من زوجته لا يخضع للضريبة ، والمرأة الأمريكية – بعدزواجها – تدفع ضرائب دخل بنسبة أعلى من غير الزوجة ولذلك بدأ عدد من الأزواج ينفصلون بالطلاق عندما يقترب موعد تقديم الاقرار الضريبي ثم يتزوجون من جديد بعد تقديم الاقرار .

- **المساواة الشكلية أنتجت الجنس الثالث :**

في دراسة عن أول حركة انشقاق نسائية كشفت تدهور أوضاع المرأة في ظل المساواة الشكلية وكيف ظهر الجنس الثالث بعد تحرير المرأة الروسية ، وقد نقلتها صحيفة الأهرام القاهرية بعددها الصادر في ١٩٨٢/١/٣م عن " الاوبررفر " وجاء في هذه الدراسة : " ظهرت ضمن جماعات المنشقين في الإتحاد السوفيتي مؤخراً حركة نسائية منشقة بدأت في مدينة لننغراد وراحت تنتشر في مختلف أنحاء الإتحاد السوفيتي ودول الكتلة الشيوعية " ؛ لقد كانت منشورات ومطبوعات المنشقين السوفيت التي تصل الى دول الغرب حتى السنوات الأخيرة لا تشير إلى حقوق المرأة في حد ذاتها وتركز على حقوق الإنسان بشكل عام ، وكان الاستثناء الوحيد من هذه القاعدة كتاب العالم السوفيتي الشهير أندريه خاروف " الخطر والأمل " الذي لفت الأنظار إلى الآثار الخطيرة التي ينتجها النظام الشمولي السوفيتي على الصحة العقلية والبدنية للنساء وتدهور معدل المواليد في الإتحاد السوفيتي بسبب هذه الآثار ؛ والفيلسوفة الروسية تانيا ناحوتشيفا الماركسية قالت : " إن نظام الإتحاد السوفيتي قائم على أساس مساواة مثالية زائفة بين الرجل والمرأة تنطوي – في حقيقتها – على احتقار الأنوثة ، إن هذا النظام لم يؤد إلى تحرير المرأة وإنما أدى إلى تأنيث الرجال بعد أن فقدوا حريتهم وقدرتهم على تحمل المسؤولية " ، ثم قالت : " إن الرجل والمرأة على السواء قد تحولا في المجتمع السوفيتي إلى جنس ثالث هو جنس سوفيتي محض لا مثيل له في أي مجتمع آخر " .

- **المرأة الغربية تشكو من الوظيفة :**

لقد خرجت المرأة إلى العمل لتؤكد شخصيتها وتثبت ذاتها وقد سبقنا الغرب إلى إخراج المرأة إلى ميدان العمل كما سبقنا إلى جني الثمار المختلفة التي ترتبت على ذلك من إهمال للبيت والأطفال وتغير وظيفة كل

من الرجل والمرأة ، لقد تحملت المرأة أعباء جديدة و لم ينقص شئ من أعمالها الأساسية .

الأستاذ الدكتور كيلين رئيس أطباء المستشفى الحكومي للنساء في مدينة لادون كسفير أعلن النفير العام للأطباء لإنقاذ النساء العاملات في مؤتمر للأطباء هناك ، وقد نشرته مجلة دي‌كستل بل كلان ونغ الصادرة في مدينة وسلدرن في عددها الصادر في أغسطس سنة ١٩٦٢ وترجمه سعيد أحد الطلاب السوريون في جامعات ألمانيا ونقله الدكتور مصطفى السباعي – رحمه الله تعالى – في كتابه " المرأة بين الفقه والقانون " وقد جاء في هذا المقال : " إن ٣٠% من النساء في مجتمعنا لسن سعيدات في حياتهن والسبب في ذلك المتطلبات الجسمية والروحية المتصاعدة ، وعلى هذا فإني أعلن النفير العام لعلم الطب ، وواجب على المجلس البلدي أن ينظر إلى هذه الناحية التي تحل بكثير من نسائنا العاملات بعين الجد والإعتبار ، إن هذا الخطر يهدد كثيرين منا لأن هذا معناه انهيار عظيم وخسارة مزدوجة لملايين البشر " .

وتأتي إلينا من ألمانيا تقارير طبية عن المرأة العاملة ومتاعبها الصحية ، وهذه التقارير ترد هذه الأمراض إلى التعب غير الطبعي ، إن نسبة وجع الرأس عند النساء العاملات أكبر سبع مرات من تلك اللاتي يقمن في البيت دون عمل خارجه ، والمرض الجسمي من موت الجنين أو الولادة قبل الأوان هو عند العاملات موجود بشكل مرعب لا يمكن تصوره .

إن العامل الرئيسي – ليس هو كما نتخيل – أنه الوقوف الدائم أو الجلوس الدائم المنحني أمام منضدة العمل أو الحمل الثقيل غير الاعتيادي ، لا بل هناك العامل النفسي الذي هو الأساس ؛ ومن المعروف اليوم أن التشويه الجسمي عند النساء مثل تضخم الرجلين أو تضخم البطن يعود إلى الحالات النفسية التي تُقاد من الدماغ ومركزها في النخاع الشوكي الذي قد يؤدي إلى الشلل أو العاهات الجسمية .

- **المرأة والمهدآت :**

وقد أظهرت إحدى الدراسات الأمريكية أن دخول المرأة إلى ميدان العمل كان له تأثير كبير على توازنها النفسي ، فالملاحظ أن نسبة كبيرة من العاملات يعانين من التوتر والقلق الناتج عن المسؤوليات الكبيرة الملقاة على عاتقهن

والموزعة بين الزوج والبيت والأولاد ، وقد سجلت الإحصاءات الأخيرة أن ٧٦% من نسبة الأدوية المهدئة تصرف للنساء العاملات ، كما كان من نتيجة هذا التوتر ارتفاع نسبة التدخين بين النساء العاملات التي فاقت في الولايات المتحدة نسبة الرجال كما جاء في صحيفة الأهرام القاهرية عدد ١٩٨١/١١/١٥ .

- **الطبيعة النفسية للمرأة :**

وعن الطبيعة النفسية للمرأة يقول الدكتور محمود فؤاد أستاذ إدارة الأعمال والعلوم السلوكية بجامعة القاهرة ومستشار رئيس الجهاز : " إن المرأة تتميز بأنها أكثر حساسية من الرجل لذلك لا يمكن للمديرين انتقادها دون مراعاة مشاعرها ، فهي أكثر قابلية من الرجل لأن تأخذ النقد الموضوعي للعمل على أنه موجه لشخصها ، وهي أكثر عاطفة ، ومع مسؤولياتها المزدوجة في المترل والعمل فإنها تكون أكثر قلقاً وتوتراً ، ومن هنا فإن المرأة تدفع ثمناً باهظاً لكي تُلائم بين عملها وأعبائها المترلية زوجا وأما وربة بيت ؛ وكان من مظاهر عمل المرأة في الغرب المشكلات الصحية والنفسية التي أنتجت عن ذلك ما يأتي :

١- **إنشاء ناد للصداع في باريس** يراسه الدكتور اندريه باواليه والذي يقول : " إذا كان للصداع خمسة أنواع فإن المرأة تتفوق على الرجل في الإصابة بأكثر من أربعة أنواع ، والمرأة تملك العديد من الأسباب لجعل الصداع رفيقا لها ، وما من امرأة إلا وحملت في حقيبتها المسكنات والعطر والمناديل كأسلحة للصداع والدموع والجاذبية " .

٢- **مرض الطفل المضروب** : المرأة العاملة مرهقة في العمل ولذلك فإنها لا تستطيع تحمل أبناءها فتلجأ إلى ضربهم ضربا قد يكون مُبرحا ويتكرر الضرب مع الأطفال وينشأ عن ذلك هذا المرض ؛ وقد جاء في مجلة هيكساجن الطبية في عددها الخامس لسنة ١٩٧٨ أنه لا يكاد يوجد مستشفى للأطفال في أمريكا وأوروبا إلا وبه عدة حالات من هؤلاء الأطفال المضروبين ضربا مبرحا من أمهاتهم ، وفي عام ١٩٦٧م دخل المستشفيات البريطانية أكثر من ٦٥٠٠ طفل مضروب ضرباً مبرحا أدى إلى وفاة ما يقرب من ٢٠% منهم ، كما أصيب مئات منهم بالصمم وفي كل عام يصاب المئات من هؤلاء الأطفال بالعته والتخلف العقلي والشلل .

٣- **بيع الأطفال** : وقد نتج عن خروج المرأة للعمل واضطراب أعصابها من الارهاق ومحاولة العيش في مستوى خاص نشأ عن ذلك كله انحراف في الفطرة

أدى إلى أن تستغني الأسر عن أبنائها أو عن بعضهم عن طريق البيع لأفراد أو مؤسسات تكونت لهذا الغرض ؛ وقد نشرت مجلة العهد القطرية في عددها الصادر أول ديسمبر سنة ١٩٨١م دراسة حول هذا الموضوع جاء فيها : " في أمريكا الجنوبية عشرات من مكاتب التبني مفتوحة لاستقبال الأطفال اليتامى أو المرفوضين من آبائهم وأمهاتهم ، ثم ذكرت أمثلة على ما تقوم به هذه المكاتب " .

- **لماذا يحبون الكلاب :**

وقد كان من أثر تفكك الأسر في الغرب أن بحث الناس عن المودة والرحمة بين الأسر فلم يجدوها فاستعاضوا عنها بغيرها من غير بني الانسان كي يعوضوا هذه الناحية ، وهيهات أن يكون هذا تصرفاً سليماً ، فقد جاء في تقرير فرنسي : " إن هناك سبعة ملايين من الكلاب في فرنسا – التي يبلغ عدد سكانها ٥٢ مليون نسمة — تعيش مع أصحابها وكأنها من أقاربهم ،و لم يعد غريبا في مطاعم باريس أن يُشاهد الكلب وصاحبه يتناولان الطعام على مائدة واحدة ، وحين سُئل أحد الأطباء في جمعية رعاية الحيوان في باريس : لماذا يعامل الفرنسيون كلابهم مثلما يعاملون أنفسهم ؟ أجاب : لأنهم لا يعثرون على من يحبون .

- **متاعب حواء العربية العاملة :**

تُرى هل أحست المرأة العاملة في المجتمعات العربية بالآثار السلبية لعمل المرأة ؟ سؤال تجيب عليه السيدة سعاد حلمي المحررة بمجلة حواء القاهرية والتي قامت بتحقيق صحفي نشر في عدد ١٢/١٢/١٩٧٠م تحت عنوان " الإرهاق العصبي يهدد المرأة " وقد جاء فيه : " نحن نساء هذا العصر كثيرا ما نلمح في عيون نساء الجيل الماضي من الأمهات والجدات نظرات الدهشة والاستنكار وهن يتابعن تصرفاتنا خلال الحياة اليومية العادية وكثيرا ما نسمعهن يرددن لماذا هذا الإرهاق ؟ ولماذا هذه العصبية ؟ ، وأصبح من العادي أن نسمع : أنا لا أحتمل الضجيج ولا الأولاد ولا التعليقات إنني أشعر دائما بالرغبة في البكاء وأحيانا بالصراخ ، وأحيانا كثيرة أعاني من الصداع الذي لا تجدي المسكنات معه نفعاً وفي الوقت نفسه أشعر باضطراب في خفقات قلبي ، لم أعد أرغب في شئ أتمنى الهدوء والصمت والوحدة ... " .

وفي مجلة حواء بعددها الصادر في ١٩٧٢/٤/٢٣م مقال كتبته الصحفية سهير الكيال تحت عنوان " الاكتئاب النفسي " جاء فيه : " هذه الحيقة التي وصل إليها آخر إحصاء قام به معهد الصحة النفسية – وأعراض هذا الاكتئاب النفسي الأرق والاضطراب والانفعال المستمر – وأدى ذلك إلى أن أصبحت الحبوب المنومة والمهدئة جنباً إلى جنب مع أدوات الزينة في حقائب يد هؤلاء السيدات " ثم تقول " إن حياتهن الزوجية أصبحت لا تطاق والكلمة التي تواجه بها الزوجة زوجها بعد العودة من العمل هي دائما لا تتغير (اتركني فأنا مرهقة) ، وحتى في علاقاتها مع أولادهـا فإن الانفعـال والقسـوة وارتفـاع الصـوت هي الصفات السائدة " .

والصحفية المحررة مرفت عثمان قالت في صحيفة الأهرام القاهرية بعددها الصادر في ١٩٧٨/٩/٢٢م : " أصبحت نسبة النساء المهددات بالإصابة بأمراض القلب تزداد يوما بعد يوم — هذا ما يصيح به أطباء القلب في العالم — فبعد أن كانت من الأمراض التي يتعرض لها الرجال بنسبة أكبر أصبح الآن يتعرض لها الجنسان بنفس النسبة والسبب في ذلك تعرض العاملات لنفس الانفعالات والظروف التي تعرض لها الرجل " ؛ ويؤيد هذا الفيلسوف الفرنسي جول سيمون الذي يقول : " يجب أن تكون المرأة امرأة فإنها بهذه الصفة تستطيع أن تجد سعادتها وأن تهبها لسواها فلنصلح حال النساء ، ولكن لا نغيرهن ولنحذرهن من قلبهن رجالاً لأنهن بذلك يفقدن خيراً كثيرا ونفقد نحن كل شئ ، فإن الطبيعة أتقنت كل ما صنعته ، فلندرسها لنسع في تحسينها ولنحسن كل ما يُبعد عن قوانينها وأمثلتها " .

حين خرجت المرأة إلى ميدان العمل مع الرجل فإن المشكلات التي كانت خاصة بالرجل لم تلبث أن دخلت فيها وسارت في تيارها حتى تسبق الرجل وهي التي كانت في أمن واطمئنان وراحة بال ؛ ويبين التقرير الذي خرج في عام ١٩٧٧م من مكتب التحقيقات الفيدرالية بالولايات المتحدة الأمريكية والذي يشير إلى أن معدل الجريمة بين السيدات أو الجريمة النسائية ارتفع ارتفاعا مذهلاً مع حركات التحرر النسائية ، وقال التقرير : " إن الاعتقالات زادت بين النساء بنسبة ٥٢% وهذا علاوة على أن أخطر عشرة مجرمين مطلوب القبض عليهم في القائمة الأخيرة التي نشرها مكتب التحقيقات الفيدرالي كلهم من السيدات ، ومن بينهن شخصية ثورية اشتركت في حركة التحرير النسائية ثم قالت : إن منح المرأة حقوقا متساوية

مع الرجل يشجعها على ارتكاب نفس الجرائم التي يرتكبها الرجل ، بل إن المرأة التي تتحرر تصبح أكثر ميلا لارتكاب الجريمة " .

- **وظيفة الرجل ووظيفة المرأة :**

الرجل له وظيفة والمرأة لها وظيفة ، وعند انتهاء وظيفة كل من الرجل والمرأة تحدث تغيرات هرمونية في الجسم ويظهر التحول عند الرجل بعد الإحالة إلى المعاش بقليل ، كما أن التحول يظهر عند المرأة عندما تتوقف عن القيام بدور الإنجاب وهذا يستدعي إعادة التكيف الاجتماعي والانفعالي لدى كل من الرجل والمرأة لإمكان قيامهما بأدوار جديدة ؛ ومعنى هذا أن الطبيعة قد حددت وظيفة كل من الرجل والمرأة لأن كلاً منهما نوع وإن كانا من جنس واحد والمرأة التي تعمل في غير وظيفتها تفقد الكثير من أنوثتها وتتحول إلى شبه رجل في غلظته ومعاملته ثم تزهد على مر الأيام في علاقاتها الزوجية .

وقد بحثت طبيبة نمساوية هذه الظاهرة بحثاً طويلاً ونقلت عنها الدكتورة بنت الشاطئ تجربتها وكتبت قائلة : " إن ذلك القلق لا صلة له بمتاعب الانتقال المفروض على أصل طبيعة نساء الشرق ، وإنما هو صدى لشعور ببدء تطور جديد يتوقع حدوثه علماء الاجتماع والفسيولوجيا والبيولوجيا في المرأة العاملة وذلك لما لاحظوه من تغير بطيء في كيانها لم يُثر الانتباه أولا ، وقد ظهر بعد ذلك أن نقص المواليد عند المرأة العاملة لا يرجع إلى عيب عضوي ظاهري بل ينتج عن عقم استعصى علاجه نتيجة لإنصرافها المادي والذهني والعصبي عن مشاغل الأمومة ودنيا حواء وتشبثها بالمساواة مع الرجل ومشاركته في ميدان الحياة العملية؛ واستند علماء الأحياء في هذا الفرض إلى قانون طبيعي هو " أن الوظيفة تخلق العضو " ومعنى ذلك أن وظيفة الأمومة هي التي خَلقت في حواء خصائص الأنوثة مميزة لابد وأن تضمر تدريجيا بانصراف المرأة عن وظيفة الأمومة واندماجها في عالم الرجال ، ثم تابع العلماء هذا الفرض فإذا بالتجارب تؤيد إلى أبعد مما كان منتظرا وإذا بهم يعلنون في اطمئنان مقرون بشئ من التحفظ عن قرب ظهور جنس ثالث تضمر فيه خصائص الأنوثة التي رسختها الممارسة الطويلة لوظيفة حواء " .

- **ماذا عن المرأة الغربية اليوم ؟**

سؤال هام يجيب عليه علي القاضي في كتابه وظيفة المرأة في المجتمع الانساني بقوله : " لقد بدأت المرأة الغربية تشكو وكانت إيجابية

فأعلنت رأيها بصراحة وطالبت بعودة المرأة إلى البيت والعناية ببيتها وترك الأفكار القديمة التي كانت وراء خروج المراة إلى العمل وبدأت بعض الدول الغربية تعطي المرأة إجازات طويلة بعد كل ولادة ، وبدأت بعض القوانين تظهر لإعطاء الإجازات للمرأة بمرتب أو بنصف مرتب والمهم أن المجتمعات الغربية بدأت تحس بالخطورة وبدأت تبحث عن العلاج " .

- **المرأة رهن إرادة زوجها :**

وقد كان من العجيب أن تظهر في أمريكا حركة تدعو إلى الخضوع التام لسيطرة الرجل والسبب في ذلك كما قالت القائمات بالحركة إسعاد المرأة بإعادة الهناءة والطمأنينة والاستقرار إلى كثير من العلاقات الزوجية،وقادت هذه الحركة السيدة موربيل مورجان ربة البيت الأمريكية التي ألفت كتاباً في هذا الموضوع وقد حقق أرقاما خيالية في المبيعات والانتشار في كافة أنحاء الولايات المتحدة الأمريكية ، ولذلك ظهرت الحركة النسائية الجديدة التي سميت بحركة " كل نساء العالم " ، ولشدة إقبال النساء على هذه الحركة بدأت المسؤولات عنها في تنظيم فصول دراسية منتظمة للراغبات في تحقيق السعادة الزوجية وتوفير الهناءة والاستقرار للعش السعيد ؛ ورائدات هذه الحركة يحرصن على محاولة اقناع الدارسات في الفصول الدراسية التي تعقدها الحركة بضرورة البقاء في البيت وينادين بعدم خروج المرأة إلى العمل فالبيت هو مملكة المرأة تعمل فيه لخدمة زوجها وأولادها وتنشئتهن التنشئة الاجتماعية ؛ ثم تقول رائدة هذه الحركة " إن أروع الأعمال التي تناسب المرأة في هذا العالم هو عملها داخل بيتها وعلى المرأة أن تتفاخر بهذا العمل وبرعايتها لزوجها وبأنوثتها التي فقدتها عندما خرجت إلى ميدان العمل " .

وقد سئلت السيدة جويس " هل تعتقد وتؤمن إيمانا راسخا بأن زوجها هو سيد البيت ؟ " فأجابت بابتسامة رقيقة : " إن البيت شأنه شأن أي هيئة ومنظمة في ذلك ، لابد أن يكون له رئيس موجه للعمل بتعليماته وأوامره كما أنه لابد من قبطان واحد للسفينة يأتمر الجميع بأمره ، فكذلك لابد للبيت من سيد واحد فليس في قدرة فارسين قيادة حصان واحد ، لقد خلق الله الرجل ليكون سيد البيت فلماذا نعاند أنفسنا ونرفض التسليم بهذه الحقيقة " .وقد سأل محرر الديلي اكسبرس السيدة جويس قائلاً : " فماذا يحدث إذا اختلف الزوجان حول قرار واحد وحدث

صراع بينهما فلمن تكون الغلبة الحقيقية حينئذ ؟ " فأجابته بردها : " لو حدث واختلف الزوجان – حتى في الرأي – فالقرار الأول والأخير يجب أن يكون للزوج حتى لو كان رأيه خاطئاً ، إن ذلك سيكون أفضل ألف مرة من الأخذ برأي الزوجة حتى ولو كانت على صواب " .

وفي ولاية انديانا الأمريكية كان النقاش حادا بين واحد من الدارسين العرب وبين أحد زميلاته في الجامعة ؛ هو يدعو إلى الإسلام الذي رعى حقوق المرأة وصانها وهي تتكلم عن تحرير المرأة ، وفي النهاية احتكموا إلى عميدة الكلية ودار حوار هادئ شارك فيه الشباب المسلم ، واستدعت العميدة واحدة من عندها لتتفقا على جواب واحد وبعد المناقشة كان الجواب : " يجب أن تتركن هذه الشعارات وتعدن لحياتكن الطبيعية ، فإن أسعد أوقات المرأة هو الذي تناجي فيه الطفل وأحلى سويعات عمرها بيت ترفرف عليه السعادة الزوجية وأشهى ثمرة تقطفها تربية أجيال " ثم قالتا : " لقد تحصلنا على أكبر مركزتتوق إليه المرأة – بل الرجل في هذه الحياة – وأكبر رصيد تتخيله بنات حواء من السمعة والمال والجاه لكن ذلك كله خال من السعادة بمعناها الحقيقي ، إن السعادة الحقيقية للمرأة بعدما درسنا الديانات المختلفة قد رسمها دين هذا الرجل المسلم بتعاليمه ومبادئه والحقوق التي أعطاها للمرأة وأشارت إلى زميل الحوار " . [مجلة الاعتصام القاهرية عدد ذي القعدة ١٤٠٠هـ] .

ولعل الممثلات هن أكثر نساء العالم شهرة واختلاطا وتمتعا بمباهج الحياة ، ولعل الكثير من الفتيات يتمنين الوصول إلى ذلك ، تُرى هل الممثلات سعيدات بذلك سؤال تجيب عليه مارلين مونرو أشهر ممثلة إغراء في العالم في رسالتها التي كتبتها عند انتحارها تقول : " إني أتعس امرأة على وجه الأرض لم أستطع أن أموت أما ، إني امرأة أفضل البيت والحياة الشريفة الطاهرة بل إن الحياة العائلية هي رمز السعادة ، لقد ظلمني الناس لأن العمل في السينما يجعل المرأة سلعة رخيصة تافهة مهما نالت من المجد والشهرة الزائفة " . وتقول الممثلة الأمريكية باربرا استرايسند في آخر مقالة صحفية لها : " لقد بدأت أتأكد من أن أشياء كثيرة تنقصني ، لقد اهتممت أكثر مما يجب بحياتي الفنية ونسيت حياتي كامرأة وإنسانة مما جعلني اليوم أحسد النساء اللواتي عندهن الوقت الكافي للاعتناء بأزواجهن وأطفالهن ، والحقيقة

أن النجاح والشهرة لا معنى لهما في غياب الحياة العائلية العادية حيث تشعر المرأة بأنها امرأة " . [مجلة منار الإسلام عدد ذي القعدة سنة ١٤٠١هـ] .

واليابان الدولة التي نهضت عقب الحرب العالمية الثانية بسرعة أذهلت العالم كله ما وضع المرأة فيها ؟ ، تجيب على هذا السؤال نوبو ابسكاو سفيرة اليابان في باريس سنة ١٩٨١م في مجلة المجلة عدد ٢١ من نوفمبر سنة ١٩٨١م قائلة : " المرأة اليابانية تعمل قبل الزواج أما بعد الزواج فإما أن تترك العمل مباشرة وإما أن تتابعه حتى يصبح لديها أولاد وحينئذ تلازم المرأة بيتها لتقوم بجميع متطلبات العائلة : تربية الأولاد-المطبخ-تنظيف البيت وما إلى ذلك من الأمور المنزلية وحين يكبر الأولاد تستطيع المرأة اليابانية العودة إلى ممارسة نشاطاتها السابقة " ثم قالت : " والجدير بالذكر هنا أن من أسباب قوة اليابان حاليا عناية المرأة بالأولاد " .

- **قوة المرأة الإيجابية :**

فليس شلافي الزعيمة النسائية الأمريكية دعت المرأة إلى وجوب الاهتمام بالزوج والأولاد قبل الاهتمام بالوظيفة وبوجوب أن يكون الزوج هو رب الأسرة وقائد دفتها كما جاء في مجلة النهضة الكويتية بتاريخ تشرين الأول سنة ١٩٨٢م وهي أم لستة أطفال وربة بيت ناجحة وسعيدة ولها كتاب بعنوان " قوة المرأة الإيجابية " ؛ وفي هذا الكتاب تورد أمثلة من النساء الإيجابيات اللاتي يسرن على النظام الذي تدعو إليه وتضرب على أمثلة على ذلك بالملكة فيكتوريا وكاترين هبورت ، وهذا الكتاب يدعو إلى الإهتمام بالبيت والأسرة وإلى ضرورة عودة المرأة إلى القيم والتقاليد الأمريكية المحافظة ، وقامت مجلة بحملة لتقوية العلاقات الأسرية ومقاومة الإجهاض والشذوذ الجنسي والضغط من أجل تعليم أفضل في المدارس ؛ وقامت بالعمل لتحسين النظرة العامة إلى النساء اللاتي يفضلن عدم الإنخراط في العمل والتفرغ للبيت وتقول : " إنني أذكر أن الأمهات كن طبقة محترمة جداً وأود أن أرى هذه الصورة وقد عادت ثانية " .

قامت مجلة ماري نكير الفرنسية باستفتاء الفتيات الفرنسيات من جميع الأعمار والمستويات الاجتماعية والثقافية شمل ١,٥ مليون امرأة عن رأيهن في الزواج من العرب وكانت الإجابة لـ ٩٠% منهن " نـــعــــم " ، والأسباب كما قالتها نتيجة الإستفتاء :-

١. مللت المساواة بالرجل .

٢. مللت الاستيقاظ عند الفجر .
٣. مللت حالة التوتر الدائم ليل نهار .
٤. مللت الاستيقاظ للعمل حتى الساعة السادسة مساء في المكتب والمصنع .
٥. مللت الحياة الزوجية التي لا يرى الزوج فيها زوجته إلا عند النوم .
٦. مللت الحياة العائلية التي لا ترى الأم فيها أطفالها إلا حول مائدة الطعام .

ومن الطريف أن العنوان كان "وداعاً عصر الحرية والمساواة وأهلا بعصر الحريم" .
وفي ألمانيا قامت إحدى الهيئات بعمل استفتاء شمل عدة آلاف من الفتيان والفتيات في سن الرابعة عشرة والخامسة عشرة ، وكان السؤال عن أهم شئ تتطلبه الآمال في الحياة الفردية في المستقبل وكانت النتيجة كالآتي :-

١. ٨٢% من البنين النجاح في العمل .
٢. ١٢% من البنات فقط كان النجاح في العمل ، والباقيات في الحياة الزوجية .

ومعنى هذا أن كل الجهود التي يبذلها أصحاب فكرة المساواة بين الرجل والمرأة لم تُأت ثمارها ولم تصرف المرأة عن رغبتها في أداء وظيفتها الطبيعية وعاد كل نوع يطالب بأداء وظيفته في المجتمع الانساني .

- **عدالة المنهج الإسلامي :**

وهكذا يتضح لنا أن المنهج الإسلامي يتبع الفطرة في تقسيم الوظائف وتقسيم الأنصبة بين الرجال والنساء فلكل منهما وظائف معينة لفائدة الإنسانية ؛ وتصوير الموقف كما لو كان معركة حادة بين الرجل والمرأة فيه تَجَن على الحقيقة وهو ضد مصلحة المجتمع الإسلامي بل وضد مصلحة المجتمعات الإنسانية بأكملها ، فالمسألة ما هي إلا توزيع اختصاصات وتنويع وتكامل وعدل وذلك في المنهج الإسلامي لأن الذي شرعه هو خالق الذكر وخالق الأنثى وهو أدرى بما يُصلحهم وما يَصلح لهم ، والاسلام كرم المرأة فجعل لها الحق في النفقة والسكن وفي ألا تُكلف بعمل خارج المترل فإن حرفتها الأمومة وصناعة الأجيال وهي أشرف صناعة وأهمها في هذه الحياة ، يقول فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي في ذلك :

الإسلام لا يمنع المرأة من العمل ولكنه يضعه في حدود الضرورة وقد بين القرآن الكريم أمثال هذه الضرورة في قصة ابنتي شُعيب ، إذ أن أباهما كان شيخا لا يَقوى

على السعي وليس لهما أُخوة من الذكور ثم هما تلزمان حدودهما فلا تُزاحمان بل تنتظران حتى يُصدر الرعاة — وهي بذلك لا تنسى نوعها ولا تزاحم كما يزاحم الرجال — وبالتالي فقد ظهر في هذه القصة مهمة المجتمع بالنسبة للمرأة في إعانة موسى لهما على السقي ومن هنا يتضح لنا أن تنظيم الإسلام للأسرة قائم على الفطرة التي تخصص للمرأة وظيفتها وهي رعاية الإنتاج البشري ، وحينما يخصص الإسلام للمرأة الأسرة فإنما يخصصها لرعاية الإنتاج البشري وهو أثمن ما في الوجود ويعهد إليها بصيانة قُدس من أقداس الإسلام ؛ والمجتمع الإسلامي المحض هو الذي يتربى فيه الطفل ويتشرب أخلاق الإسلام وعقيدته وشريعته ويقوم بواجب الخلافة في الأرض ولذلك فإنه من الواجب ألا نشغل أعصابها وجسمها وعقلها بإعالة نفسها وهي تقوم بهذه المهمة المقدسة ، ولا تفسد أعصابها بالعمل الذي تشارك فيه الرجل ثم بتوالي الأيام تتحول إلى جنس ثالث يُعذب ويشقى ولا يحس بأن له وظيفة في هذه الحياة ؛ ومن هنا فإن الإسلام لم يكتب على المرأة الجهاد لأنها تلد الرجال الذين يجاهدون وهي في هذا الميدان أقدر وأنفع ، أقدر لأن كل خلية في جسمها معدة لهذا العمل وأنفع بالنسبة لمصلحة الأمة على المدى الطويل ، فالمعركة حين تحصد الرجال وتستبقي النساء فإنها تدع للأمة مراكز انتاج الذرية فتعوض الفراغ ، ورجل واحد — في التصور الإسلامي — يمكن أن يجعل أربع نساء ينجبن ويملأن الفراغ الذي تتركه الحروب بعد فترة الأمان ؛ فالمرأة هي المكان الطبيعي الذي يسكن إليه الرجل هي تكمله وهو يكملها والتفوق الطبيعي في استعداد الرجل ونهوضه بأعباء المجتمع وتكاليف الحياة يمكنه من القوامة على المرأة .

والاسلام حين منح المرأة هذه الحقوق منحها لها دون طلب ودون جمعيات نسائية لأن الذي أعطى لها هذه الحقوق هو الذي خلقها وخلق الرجل وهو أدرى بإمكانات كل منهما ووظيفته الحقيقية ومن هنا فقد جعل الإسلام الرجل رجلاً والمرأة امرأة وأودع كلا منهما خصائصه المميزة له وجعل لكل منهما وظائفه المحددة وكل منهما مكمل للآخر تحت ظل من المودة والرحمة والاطمئنان ، ومن هنا فلا يوجد خصام ولا شقاق ولا معركة حادة بين الرجل والمرأة بل مودة ورحمة .

* **المرأة ليست مكلفة بالعمل :**

وحين يقول كارل ماركس : " إن المرأة لابد وأن تعمل لتعيش " فإنه يتكلم عن مجتمع عاش فيه مجتمع بلا مُثل ولا قيم ولا دين ، يقول الشيخ محمد متولي الشعراوي : " والمرأة حين عملت لم تخفف من شقاء الرجل وازدادت هي شقاء فهو لم يأخذ نصف عملها في الخارج والتعلل بزيادة الدخل فيه مغالطة فليس من المفروض أن يحدد الانسان المستوى الذي يعيش فيه ثم يبحث عن الدخل الذي يحدده المستوى " ؛ والمفروض أن يحدد الإنسان مستواه على قدر دخله وهذا ما جعل الناس ينحرفون عن منهج الفطرة ولذلك فإن الإسلام لا يفرض على المرأة العمل ، فإن احتاج إليها في عمل لا يصلح فيه غيرها فينبغي أن يكون العمل مخففا والأجر مضاعفا ولكن المرأة في المجتمعات الحديثة كلها تعمل كالرجل وأجرها أقل من أجر الرجل ، وهذا العبء زيادة عن العبء الاجتماعي الطبعي للمرأة من حمل وولادة ورضاعة وشئون بيت وقد أثر ذلك على الأبناء في تربيتهم .

يقول مسيود .ا س : " إن المرأة في الشرق تُحترم بنبل وكرم وعلى العموم لا يستطيع أحد أن يرفع يده عليها في الطريق ولا يجرؤ جندي أن يسئ إلى أي من نساء الشعب حتى في أثناء الشغب ، وفي الشرق يشمل الرجل زوجته بعين الرعاية ويبلغ الاعتناء بالأم درجة العبادة ، وفي الشرق لا نجد رجلا يقوم على إلزام زوجته بالعمل ليستفيد من رزقها ، وفي الشرق يدفع الرجل مهراً إلى زوجته " .

• •••••• •

الاحتفاظ بالرجولة والأنوثة

الرجل له وظيفة والمرأة لها وظيفة وكل منهما متمم للآخر فلا يمكن الاستغناء عنهما ، فإن أراد أي نوع منهما أن يتشبه بالنوع الآخر فإن ذلك لا يبيحه الإسلام لأن هذا النوع الذي أراد أن يتشبه بالنوع الآخر لن يحتفظ بكيان نفسه ولن يلحق بالنوع الآخر ، ذلك لأن التوازن الأخلاقي في مجتمع ما شرط بمجموعة من العوامل المادية والأدبية ، والملابس أحد هذه العوامل فالشيخ الذي يلبس لباسا رياضيا يشعر بأن روحا رياضية تسري في جسده حتى ولو كان ضعيف البنية ، والشاب الذي يلبس ملابس الرجل العجوز فإن أَثَّرَ هذا اللباس يظهر على مشيته وفي تصرفاته ومن هنا كانت محافظة الإسلام على أن يظهر كل من الرجل والمرأة متميزاً في لباسه ؛ فعن ابن عباس – رضي الله عنهما – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال : " **لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال** " رواه البخاري ، وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : " **لعن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الرجل يلبس لبسة المرأة والمرأة تلبس لبسة الرجل** " رواه البخاري ، وقد ذكر رسول الله - صلى الله عليه وسلم – أن ممن لعنوا في الدنيا وأمنت الملائكة على لعنهم : " **رجل جعله الله رجلا فأنث نفسه وامرأة جعلها الله أنثى فترجلت وتشبهت بالرجال** " ، وقد رأى رسول الله - صلى الله عليه وسلم – رجلا يلبس لبسة الحرير فقال : " **إن هذه لبسة من لا خَلاق له** " رواه الشيخان ، وعن علي – رضي الله عنه قال : " نهاني رسول الله - صلى الله عليه وسلم – عن التختم بالذهب وعن لبس القسى [نوع من الحرير] وعن لبس المعصفر " .

• ○ ● ● ● ○ •

تكريم الإسلام للمرأة

لقد كرم الإسلام المرأة تكريماً لا نظير له في مجتمع من المجتمعات فالرسول – صلى الله عليه وسلم – يقول : " **ما أكرم النساء إلا كريم وما أهانهن إلا لئيم** " البخاري . وكانت آخر عبارة قالها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهو على فراش الموت : " **استوصوا بالنساء خيراً** " البخاري . وفي السنن عن معاذ بن جنذه القشيري أنه قال : " يا رسول الله ما حق امرأة أحدنا عليه ؟ قال : **أن تطعمها إذا طعمت وتكسوها إذا اكتسيت ولا تضرب الوجه ولا تقبح** " . وقال عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – : " والله ما كنا نعد النساء أمراً حتى أنزل الله فيهن ما أنزل وقسم لهن ما قسم " ، ويقول الرسول – صلى الله عليه وسلم – : " **أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم أخلاقا وخياركم خيارهم لنسائهم** " ويقول : " **استوصوا بالنساء خيرا فإنهن خلقن من ضلع أعوج وإن أعوج ما في الضلع أعلاه فإن أردت أن تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج** " رواه النسائي . وهو بذلك يهدف إلى أن يتحمل الرجال تصرفات النساء ولقد كان النبي – صلى الله عليه وسلم – قدوة في ذلك .

والمرأة إذا كانت أُماً فإن الإسلام قد كرمها تكريما رائعا يقول الله تعالى : **{ ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير }** لقمان / ١٤ ، فقد طلب الإحسان للوالدين ثم خص الأم ثم طلب أن يكون الشكر لله تعالى وللوالدين وقد سأل أحد الصحابة النبي – صلى الله عليه وسلم – :" **من أحق الناس بصحبتي ؟ قال : أمك ، قال: ثم من ؟ قال : أمك ، قال : ثم من ؟ قال :أمك ، قال : ثم من ؟ قال : أبوك** " ، فقد ذكر الأم ثلاث مرات ثم ذكر الأب بعد ذلك لأن الأم قامت بنصيب كبير في الحمل والوضع والإرضاع ثم إن الأم بطبيعة تكوينها أضعف من الأب ولهذا فهي في حاجة إلى رعاية أكثر من الرجل ؛ ومن هنا فإننا نرى أنه من الخطأ أن يُراد للمرأة أن تأخذ موقعا لم تُهيأ له ، لأنهم أرادوا لها أن تتمرد على دينها في المجتمع الإسلامي تحت شعار الحرية والتقدمية والمدنية وهي شعارات براقة تُخفي وراءها ما تخفي من متاعب وتخلخل في المجتمع ؛ والاسلام ينشد للمرأة الكرامة فتكون انسانا كريما يقوم على توفير الاعتبار البشري وهذا الإنسان العالي

يتبلور في إلزام الرجل أبا أو ابنا أو أخا أو زوجا بالانفاق على البنت والأم والزوجة والأخت ويعفي المرأة من السعي للكسب والعمل خارج البيت وبذلك يحفظ عليها أنوثتها التي هي العامل الأول في لقاء الرجل بها وسعيه إليها ؛ ثم قيامها بالمشاركة البناءة في حياة زوجية تنشد السكن والاستقرار والمودة ، ثم حرصها على دور الأمومة وعنايتها بالطفل في مرحلة طفولته المبكرة وهذا ما يحقق الآمال ويجعل المجتمعات تعيش في أمن وسعادة وهدوء واطمئنان ، وصدق الله العظيم القائل : **" وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون "** الأنعام / ١٥٣ .

ومن هنا يتبين لنا أن وظيفة المرأة في كل المجتمعات تحتاج إلى نظرة موضوعية في الشرق وفي الغرب تجعلهم يعيدون كل شئ إلى نظامه الطبيعي فيسعد الرجل وتسعد المرأة وتسعد الأسرة وتسعد المجتمعات كلها وتبتعد عن المشكلات الجسمية والعقلية والنفسية المتنوعة التي حلت من جراء البعد عن فطرة الله التي فطر الناس عليها ولمثل هذا فليعمل العاملون .

هذا الكتاب

تأخذ المرأة حيزا كبيرا في الحديث عن حقوقها وواجباتها في العصر الحديث والحضارة الغربية تركز على حقوق المرأة من وجهة نظرها وتريد أن تفرض مفاهيمها على العالم الإسلامي تحت عنوان العولمة أو حقوق المرأة ، وتقيم مؤتمرات متنوعة تحت عنوان السكان والتنمية لتفرض مفاهيمها على العالم كله ، والهدف وراء ذلك إباحة الحرية الكاملة للمرأة في صلاتها الجنسية وفي حقها في الإجهاض وما إلى ذلك ، وهم بذلك يحطمون الأسرة فلا يجد الأبناء من يعطيهم الحماية والرعاية والعطف – وهم أثمن من في الوجود – فيسيرون إلى طريق الإنحراف بأنواعه المختلفة .

والغرب يتهم الإسلام بأنه ظلم المرأة مع أن بعض الغربيين يشهدون بأن الإسلام هو الذي أنصف المرأة وأعطاها حقوقا لم تحظ بمثلها في الغرب حتى الآن ومن ذلك أن أجر المرأة في الغرب لا يساوي أجر الرجل وأن المناصب العليا لا تأخذ المرأة حقها فيها ولكن المرأة تستخدم في الإثارة بأنواعها المختلفة ثم إن المرأة تُنسب إلى زوجها لا إلى أبويها على عكس ما في الإسلام .

وهذا الكتاب إطلالة سريعة تجيب على بعض الأسئلة من كبار العلماء الذين حملوا لواء الدعوة ؛ ومُعد هذا الكتاب هو الأستاذ علي القاضي وهو أحد الذين عُنوا بقضايا المرأة ، فكتب الكثير من المقالات التي نشرت في العديد من الصحف والمجلات العربية وقد ألف كتاب " وظيفة المرأة في المجتمع الإنساني " الذي تولت طبعه دار العلاقات العامة بقطر ثم طبعته دار القلم بالكويت ؛ ونرجو الله سبحانه وتعالى أن يهدي الأمة الاسلامية إلى الطريق القويم وأن يجعل عندهم المناعة الفكرية التي تجعلهم لا يتأثرون بالمفاهيم الغربية والمفاهيم الجاهلية وبذلك يحققون قول الله تعالى : " **وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون** " الأنعام / ١٥٣ .

الناشر

الفهرست

كتب تم طبعها

١ اضواء علي الترفيه في الاسلام
٢ وظيفة المرأة في المجتمع الاسلامي
٣ جامعات يوسف
٤ الحدود في الإسلام
٥ الفن بين الحضارة الاسلامية والحضارات الأخرى
٦ دور المرأة في الحضارات المختلفة

كتب تحت الطبع

١ الحضارة الغربية تسير إلي الهاوية
٢ علم الإنسان في القرآن الكريم
٣ بديع الزمان النورسي
٤ مفاهيم إسلامية
٥ معارك رمضانية فاصلة في تاريخ الإسلام
٦ الترف ودوره في انهيار الأمم
٧ الإسلام يدلل المرأة
٨ لماذا أسلمنا ؟
٩ أوسمة إلهية
١٠ أوسمة نبوية
١١ الحكمة في التشر يعات الإسلامية
١٢ الرجولة في القرآن الكريم
١٣ مكة المكرمة
١٤ المدينة المنورة
١٥ الإتيكيت : فن الذوق
١٦ الثورة صناعة غربية